الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية الآداب و اللغات

قسم اللّغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصّص : أدب حديث ومعاصر

الموسومة بـ:

أدبية الرحلة في «فتح الإله ومنّته » لأبي راس الناصري المعسكري

إعداد الطالبتين

- خالدية بن شرقية
- سيهام بن نافلة

تحت إشراف

- د. يوسف يوسفي

لجنة المناقشة

د. سعيد لخضر بلعربي	رئيساً
د. يوسف يوسفي	مشرفا ومقرراً
د. دنيا باقل	مناقشاً

السنة الجامعية :1439 /1440هـ

2019/2018م

الحمد والشكر لله، الذي أنار لنا طريق العلم وأخرجنا بثمرته هذه من الفضل أن نتعرف لأهل الفضل نتوجه بالشكر الجزيل والخالص في إنجاز هذه المذكرة إلى أستاذنا الفاضل الدكتور يوسفي يوسف الذي لم يبخل علينا بعطائه العلمي وآرائه وأفكاره ونصائحه وإرشاداته من خلال مراحل هذه الدراسة، فبارك الله، فيه وأكثر من أمثاله، وإلى كل الأساتذة الكرام ونحن نكن لهم فائق الاحترام والتقدير ونشكرهم جزيل الشكر على ما قدموه لنا طوال فترة الدراسة.

وإلى كل من ساعدنا طيلة هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيّبة أو حتى بابتسامة عطرة.

إهداء

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة ظاهرة وباطنة يقول تعالى: ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا .

أهدي ثمرة عملي إلى الوالدين العزيزين اللذان غمراني بعطفهما ودعواتهما حفظهما الله وأطال الله عليهما الصحة والعافية وجعلهما لي نورا يضيء دربي وحياتي .

كما أهديه إلى إخوتي وليد ، لزرق، عبد الكريم والكتكوت، يونس "نونو" إلى رفيقة دربي

"خالدية" وإلى كل من اراد ان نسلك الدرب . وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه .

سيهام

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى:

إلى من عمل في سبيلي بكل كد وعلمني معنى الكفاح و الصبر إلى رمز الأبوة الخالصة: إليك أبي العزيز.

إلى النبع الذي لم يشهد يوم الجفاف وظل يمدني بالعطف والحنان وتغمرني بالدعوات

إلى رمز المحبة وبلسم الشفاء والعطاء، ومن تحت قدميها الجنان إليك أمي الغالية.

إلى أختي العزيز الغالية التي باسمها تحمل الأمل والعطاء "أمال" وإلى زوجها العزيز وأولادها شيماء وسلمى وأحمد ياسين إلى أغلى الناس على قلبي إلى من أشاركهم الحب والعاطفة إخوتي عمر وبلحاج وإلى زوجاتهم.

إلى البراءة وبهجة البيت خليل محمد ياسين، مرام، ملاك، آلاء.

إلى توأم روحي وأختي في الله رفيقة دربي في المشوار الدراسي سيهام.

.

خالدية

مقدمة

الحمد لله أناء الليل وأطراف النهار والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين الذي طهر تلك المنازل المقدسة من الشوائب الوثنية وعاد بالشرائع إلى ما كانت عليه أيام الرسالة الإبراهيمية وبعد :

الحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في تركيبة الإنسان الجسدية والنفسية ومع تزايد الحاجات و الإرتحال **تكثر** رغبة الإنسان في الإنتقال ،و منه كانت دراستنا تتمحور حول فن الرحلة ،التي تعتبر من الفنون الأدبية التي تتميز بخصوصية عن باقي الفنون الأخرى **(شعر ، قصة** رواية) فهو لا يتقيد بانضباط قاعدي صارم .

تميزت الرحلة في معظمها بالدافع التجاري ،بالإضافة إلى وجود عدة دوافع أخرى دفعت الإنسان للقيام بها مثل دوافع سياسية وعلمية وثقافية وإستكشافية ولعّل ما يميز الرحلة المغاربية هي الرحلة الحجازية التي فرضها الدّين الإسلامي متمثلة في الحج الذي يعتبر ركنا من أركان الإسلام هذا الركن الذي دفع بالرّحالة إلى التنافس والاستكشاف لما هو موجود في المشرق بالإضافة إلى هذا لما عرفه المشرق العربي من مراكز علمية كان الرحالة يشدّون السفر إلى الأرض التي وطؤوها **من** أجل العلم .

كانت الرحلة عونا للمؤرّخ والجغرافي والأديب على حد سواء ومصدرا من المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية ،إذ أن أغلب الجغرافيين المسلمين كانوا رحالة دونوا وسجّلوا مشاهداتهم ومعاينتهم لمختلف الأقاليم ، التي وضعوها وساهموا من **تأكيد** الوقائع والأحداث وذلك من خلال المشاهدة والملاحظة ، فقد كانت للرحلة أهمية كبيرة في صقل منهج هؤلاء الرّحالة الجغرافيين في مجال المعلومات الجغرافية الإجتماعية الإقتصادية والأدبية .

يمنح للرّحالة في أدب الرحلة حرية كبيرة دون أي قيود مثلما هو موجود بألوان أدبية أخرى ، وتتمثل هذه الحرية في التنقل واختيار المشاهد ورصد الأحداث لمختلف الأماكن والمواقع التي

تصادفه ، بالإضافة إلى الإستفادة والتزود لطلب العلم من خلال إلتقاء الرّحالة بالعلماء في مراكز الحضارة الإسلامية.

وبذلك كان لهؤلاء الرّحالة دور كبير في دفع عجلة هذا الفن في المغرب العربي ،ومن أبرز الرّحالة ابن بطوطة والعبدري وأحمد المقري وغيرهم ممن جابوا الأقطار و الأمصار ورصدوا لنا كل ما شاهدوه وكل ما لفت انتباههم من معالم وآثار، كما برز رحالة كثر على غرار هؤلاء فأضافت رحلاتهم أهمية علمية كبيرة في مختلف العلوم استلهم منها الأديب والمؤرخ والسفير ، وكانت ورقة ومرجع عاد إليها الكثير ممن خاضوا غمار مسالك وممالك هذا الفن .

أدب الرحلة الجزائري هو أدب بكر لا تزال مناجمه مادة خام لم يحظ إلا القليل منها بدراسات كافية ،وعلى الرغم من وجود مادة جيدة وكثيرة في الأدب الجزائري فإنه لم يختص أدباؤه إلا في الفنون الأدبية الأخرى كالرواية والشعر، أما أدب الرحلة فبرز فيه رحالة باحثون لا يتعدوا أصابع اليد ، فكان هناك من العلماء الجزائريين والذين أرادوا طلب العلم من مصادر خارجية هاجروا وقطعوا البحار إلى المغرب وتونس والحجاز ومصر ، درسوا على أيدي علمائها و نهلوا من علمهم الغزير.

تعتبر الجزائر إحدى مراكز العلم والثقافة وتعد مدينتها معسكر من أهم حواضر بلاد الجزائر في الفترة العثمانية التي كان لها الدور الهام في تدوين التاريخ وكانت تحمل مكانة مرموقة على الصعيدين السياسي والثقافي ومن أهم علمائها الذين خاضوا طريق الرحلة إبنها وعالمها المثقف أبو راس الناصري من أشهر علماء الجزائر على وجه العموم ومدينة معسكر على وجه الخصوص،فكان له الدور الكبير في العهد العثماني ، ويعتبر من أهم المؤلفين في مختلف المجالات والعلوم والفنون التي برع فيها ووضع بصمته عليها وعلى رأس هذه الفنون فن الرحلة،و على هذا الأساس و ما تحمله شخصية أبي راس الناصري من زاد معرفي ضخم وهائل، وقع اختيارنا على دراسة أدبية الرحلة من فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" الذي يعرض فيه رحلاته شرقا و غربا ،فكان

موضوعا لبحثنا هذا الذي أخذناه أنموذجا من رحلات عمره .و يستمد هذا الموضوع أهمية كبيرة في كونه سيركز بالدرجة الأولى على أدبية الرحلة والحقيقة أن اختيار الرحلة كفن نثري وقفت وراءه عدة عوامل أخرى من بينها :

دراسة الأعلام والشخصيات وتتبع جهودهم و نشاطهم العلمي و الثقافي ،ذلك للحفاظ على مكانتهم التي نقتدي بها إلى حد الافتخار والاعتزاز بهم .

الوقوف على فن الرحلة باعتبار أن الجزائريين في هذه الفترة اشتهروا بتعدد رحلاتهم والتي تمثلت في أغلبها بالإتجاه نحو المشرق .

التعرف على مختلف الجوانب والمضامين والقيم المختلفة التي إحتوت عليها وكشفت عنها رحلات أبي راس وعلى هذا الأساس تحاول هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المتعلقة بهذا الفن ولعل أهمها : ما مفهوم الرحلة ؟ وما هي أهم الرحلات العربية قديما وحديثا ؟ ومن هو أبو راس الناصري ؟ وما هي أهم أثاره التي خلفها ؟ وفيما تتمثل أدبية الرحلة عنده ؟ وللإجابة عن الإشكالية وعلى هذه الأسئلة وغيرها اعتمدنا في البحث على خطة متمثلة في : مقدمة مدخل ، وفصلين ينطوي تحتهما عدة مباحث وخاتمة .

مقدمة قد تناولنا فيها أهم عناصر البحث من خلال إبراز الهدف من هذا البحث والأسباب التي تدفعنا غلى اختياره وأهميته وطريقة معالجته .

أما المدخل فكان نظريا اشتمل على المسار التاريخي للرحلة وأهم الرحلات العربية.

وفي الفصل الأول أيضا نظري وتعرضنا إلى مفاهيم ودلالات حول الرحلة بدءا بمفهوم الرحلة لغة واصطلاحا ثم دوافع الرحلة وضروراتها ، أهمية الرحلة ، أدبية وعلمية الرحلة ، وأنواع الرحلة ، بالإضافة إلى تقاليد السفر وأداب الرحلة.

وفي الفصل الثاني وهو الجانب التطبيقي تعرضنا إلى أدبية الرحلة عند أبي راس الناصري من كتابه " فتح الإله ومنته" وتناولنا ترجمة للمؤلف ، والدافعية العلمية عنده وأدبية الرحلة عند أبو

راس وأهم الموضوعات التي تناولها كتاب فتح الإله ، مع دراسة علاقة العنوان بشخصية أبي راس الناصري.

وفي الأخير ختمنا البحث بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا في هذا الموضوع واتبعنا في دراستنا للموضوع من مختلف فصوله و عناصره على منهجين علميين ، وهما : المنهج التاريخي الوصفي كمنهج في الدراسة واعتمدنا والمنهج التحليلي كأداة إجرائية في تحديد بعض القضايا في رحلة أبي راس الناصري ، وتمت دراسة هذا الموضوع بالاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التي أثرت الموضوع وأوضحت معالمه أهمها : فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته لمحمد أبي راس الناصري ، عجائب الأسفارو لطائف الأخبار لأبي راس الناصري الرحلة في المشرق في الأدب الجزائري لسميرة آنساعد، الرحلات لشوقي ضيف،أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل .

و ككل بحث تعترضه صعوبات جمة ،فقد واجهتنا مادة علمية غزيرة و لكن خارج النص وفي المقابل ندرة تلك المادة و شحها والتي قاربت نص أبي راس الناصري دراسة و تحليلا.

وفي النهاية نقول كما قال أبو البقاء الرندي :لكل شيء إذا ما تم نقصان.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل إلى اللجنة الموقرة التي تحملت قراءة هذا العمل،و أشرفت على مناقشته، ونحن نلتمس منهم تقديم النصائح و التوجيهات التي لا تزيد العمل إلا ثراء.كما نسال الله السداد في الرأي و التوفيق في العمل فعليه قصد السبيل.

تيارت يوم 02 /2019/06

الطالبتين:- بن نافلة سيهام

بن شرقية خالدية

-المسار التاريخي للرحلة

أولا : الرحلات العربية .

ثانيا : رحلة الشتاء والصيف .

ثالثا : أهم الرحلات في الأدب العربي .

- المسار التاريخي للرحلة :

أولا : الرحلات العربية :

ولد أدب الرحلة عن طريق تدوين الرّحالة لقصصهم ، فالرحلة قديمة قدم البشرية ، ويعتبر ترحال الإنسان وتنقله من مكان إلى آخر هو ما أدى إلى مشاهدته لمختلف البلدان ، وأصبحت هذه الرحلة أقدم الحكايات في العالم بما تضُمه الكثير و الكثير لأقسام تندرج تحت غطائها ؛ حيث نجد عدد كبير من الأدباء والباحثين يعشقون هذا الأدب المليء بالاستكشافات والمغامرات الشيّقة فهي متصلة بتاريخ الإنسانية منذ أقدم العصور إذ : "تواترت الأخبار عن رحلات فردية وجماعية طلبا للرزق والتجارة والمعرفة ، فقام بعض الشعراء في الجاهلية بالرحلة إلى الحيرة ودمشق وبلاد الروم ، وذكروا ما جرى معهم في هذه الرحلة "[1] وفقا لظروف وأسباب معيشية مختلفة ، " كما كان لقريش رحلتان إحداهما في الشتاء والأخرى في الصيف وجاء ذكرهما في القرآن الكريم " [2].

ومن هنا انتشرت حركة الرحلات في البلاد العربية واتّسع نطاقها بسبب التجارة وأداء فريضة الحج وبعدها في عصر الإسلام " صدع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بدعوته وانتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، ثن تولى الخلفاء الراشدين أمور المسلمين من بعده قاموا بتجييش الجيوش للفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب ، فانضوت تحت لواء الخلافة الإسلامية دول كثيرة ما أدى إلى اتساع رقعة الدولة ، وكان لزاما على القائمين أن يعرفوا مسالك هذه البلاد

---

(1) علي ابراهيم كردي ، أدب الرّحل في المغرب والأندلس ، مطابع الهيئة العامة الثورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2013ص: 09.

(2) المرجع نفسه ، ص: 09.

وطرقها ، فقاموا بفتح الطرق في البلدان المختلفة ، وأنشؤوا نظام البريد الذي أسهم بتشجيع الرحلة بين أجزاء هذه الدولة " [1] .

ظهرت الرحلة منذ أقدم العصور ، وكان لكل عصر دوافعه وأسبابه التي تدفعه إلى هذه الرحلة حيث تمثل أهم عنصر في التجارة .

أما بدايات الرّحل فقد أخبرنا بها بعض المؤرخين ، فتعود أولى هذه البدايات إلى العصر العباسي كرحلة سلام الترجمان (227هـ ، 842م) ورحلة سليمان التاجر (237هـ، 851م)، ورحلة إبن وهب القرشي(257هـ ، 871م) ، ورحلة إبن موسى المنجم(277ه؟ــ 850م) ، ورحلة اليعقوبي (296هـ ، 908م)[2] .

غير " أن هؤلاء لم يدونوا رحلاتهم بل وصلت إلينا أخبار عن طريق الرواة والمؤرخين الذين أشاروا إليها ، وأوردوا منها مختارات في مصنفاتهم ، أم الرحلة المدونة فأقدمها حسب ما توافر لدينا من مراجع فتتمثل في رحلة إبن فضلان التي قام بها سنة (309ه، 921م) إلى بلاد البلغار بتكليف من الخليفة العباسي المقتدر بالله ، فكتب وصفا في تلك الرحلة ، وكانت أول رحلة مكتوبة نقف عليها ، ومنذ ذلك الحين بدأت الرحلة تأخذ شكلها المستقل إلى أن أصبحت فنّا له قواعده وأسسه " [3] .

ترجع إرهاصات الرحل إلى العصر العباسي حيث لم تدوّن هذه الرحلات ؛ بل وصلت إلينا عن طريق الرواة من خلال مختارات في مصنفاتهم .

---

[1] علي ابراهيم كردي ، أدب الرّحل في المغرب والأندلس ، ص: 09.

[2] المرجع نفسه ، ص: 9، 10.

[3] المرجع نفسه ، ص: 10.

" ومن المؤكد أن قسما كبيرا من الرّحل المدونة أتت عليه غوَائِل الدهر لم يسْلم منها إلا النّزَر اليسير ، ولكن هذا القسم الذي وصل إلينا واطلعنا عليه يدلنا على كثرة الرّحل المؤلفة وتنوع اتجاهاتها وطرائقها واختلاف أهدافها " [1] .

رغم قوة وكثافة عدد الرّحل المدونة التي عرفها التاريخ إلا أننا لم يصلنا منها إلا العدد النّزر في فترة زمنية قد مضت .

أما فيما يخص الأندلس " فقد أوْلعً أهلها بالرّحلة منذ القديم ، ونقف في كتب التراجم والسيّر والتاريخ على أسماء أعداد كثيرة منهم ، فهذا أحمد المقري (ت 1041هـ 1631م)يذكر في كتابه "نفح الطيّب من غصن الأندلس الرّطيب " ما يزيد عن ثلاثة مئة راحل في طلب العلم إلى المشرق فقط ، ونراه مع ذلك يصّرح بقصوره عل استيعاب الرّحالين جميعهم " [2] ، هذا في الأندلس وكان في المغرب أكثر منهم ذلك أن "اهتمام المغاربة للرحلة يتجاوز اهتمام الأندلسيين " [3] ، ومن أهم الرّحالة في المغرب والأندلس المدونة في تاريخ الأدب العربي ووصلت إلينا نجد " القاضي أبا بكر العربي المعافري (ت 543هـ ، 1149م) هو أول من وضع الأساس لهذا الفن وكان ذلك قبل نصف قرن من ابن جبير " [4] .

" وفي القرن السادس الهجري "6هـ" يصادف إ ثنين من الرّحالة الأندلسيين قاما بتدوين مشاهدهما في كتابين مستقلين ، الأول : هو أبو حامد الغرناطي (ت 565ه، 1170م) الذي رحل إلى المشرق وسمع من علمائه ودون رحلته هاته بعنوان " تحفة الألباب ونخبة الاعجاب " .

---

[1] علي ابراهيم كردي ، أدب الرّحل في المغرب والأندلس ، ص: 10.

[2] علي ابراهيم كردي ، أدب الرّحل في المغرب والأندلس نقلاً عن أحمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء الثاني ، ص: 05.

[3] كراتشوفسكي ، تر : صلاح الدين هاشم ، تاريخ الأدب الجغرافي ، القاهرة ، 1963م ، ج01، ص: 382.

[4] المصدر نفسه ، ج01، ص: 298.

الثاني : هو محمد بن أحمد ابن جبير الكناني (ت 614هـ ، 1217م) " [1]، الذي " رفع هذه الضربة من الصياغة الأدبية إلى درجة عالية " [2]، لتأدية فريضة الحج عن طريق البحر المسماة " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار " وكانت هذه الرحلة على غاية الأهمية ، لأنها الرحلة المدونة الأولى التي وصف صاحبها طريق الحج وصفا مفصلا " [3].

ازدهر فن الرّحلة وتطور كثيرا في الأندلس والمغرب ؛ حيث شهد التاريخ في هذه الفترة عدد كبير من الكتب والتراجم والسيّر .

كشف لنا هذا القرن عن أسماء جديدة في هذه الحقبة من الزمن فاشتهر الإدريسي أو عبد الله محمد وصاحب الكتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " وأبو بكر ابن عربي الذي يعدّ رائدا لأدب الرّحلة في الأدب العربي نظرا لأهمية العمل الذي قام به والذي سنّ الخطوة الأولى في عملية تدوين أدب الرّحلات ، فهو أول من وضع أسس فن الرحلات " [4] ، (وتدوينها في شكل مشاهد وانطباعات ووصف لما رآه وكذلك تسجيله لمذكرات يومية ، وبكل صدق ودقة وأمانة)[5]

وبعد هذا المسار الطويل " شقت الرحلة طريق الثروة الأدبية ، فشهدت القرون التالية رحّالة كثر أغنوا الأدب العربي واشتهروا في عصرهم ، وازدادوا شهرة بعد عصرهم ، وتشرّف أدب الرحلة بأسماء كابن بطوطة الذي أنفق في حياته ما يربوا على ستة وعشرين سنة (26سنة) في التجوال ،و في هذا المجال ترك كتابه الشهير " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "

---

(1) علي ابراهيم كردي ، أدب الرّحل في المغرب والأندلس ، ص: 11.

(2) كراتشوفسكي ، تر : صلاح الدين هاشم ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ج01، ص: 298

(3) المرجع السابق ، علي ابراهيم كردي ، ، ص: 11، 12.

(4) حسني " محمود حسين " أدب الرحلة عند العرب ، المكتبة الثقافية الشدية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1976م ، ص: 130

(5) ينظر : عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث " مكونات السرد " دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014م ، ص: 47.

وابن خلدون واضع علم الاجتماع ، له أيضا كتاب في الرحلة الذي عنوانه " التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربًا [1].

بعد طريق طويل ومسار واسع تميز القرن السادس الهجري بظهور أسس الرحلات ، وهذا ما ساعد على كثرة الرّحالة مما دفعهم هذا الفن إلى تأليف المزيد من الكتب التي تصب فيه تعاريفه وتطوراته.

" ويلاحظ المتتبع لمسار التأليف في الرحلات العربية ،إضافة إلى تحول منهج الكتابة وأسلوبه انتقل التأليف ابتداء من القرن السادس الهجري من المشارقة إلى المغاربة الذين عرفوا بعد **خوضهم** مجال التأليف بتفوقهم في أدب الرحلات " [2].

وقد " تتضمن أي رحلة تامة التأليف ثلاث مراحل تُشَكل مسارها الكامل .

1- **مرحلة الإنطلاق** : أو الخروج التي تشمل **عناصر** أساسية أولى من عزم على السفر والشروع في تحقيقه ، كتجهيز لوازمه وتوديع الأهل والتوجه إلى أولى نقاط الخروج ، وهي تمثل لدى الرّحالة مرحلة صعبة وحافلة بالمشاعر القوية ، لما تحمله من رغبة جامحة وشوق إلى السفر ، وتحقيق المراد ، وتغيير الواقع ، وما تصحب فترة الخروج من أسس الانفصال ، والبعد عن الرفاق والأهل .

2- **مرحلة المسير** : أو السفر وهي أبرز مرحلة ، وهي التي يقع عليها التبئير من قبل الرحالة المؤلف ، وتضم كل أعمال السفر من ذهاب وإياب ، وكل ما يقوم به الرّحالة من نشاط حركي وبصري وكلامي ، وغيرها من النشاطات .

---

[1] عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث " مكونات السرد " ، 2014م ، ص: 47.

[2] عبد الهادي التازي ، أدب الرحلات ، هل سيختفي من الساحة ؟ مقال " الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية " ندوة الرحلات ، دار الملك عبد العزيز، الرياض ، 24، 25 رجب 1421هـ ، ج01، ص: 14.

3- **مرحلة الوصول** : وهي مرتبطة دلاليا بمعنى الاتّصال ولا يقصد بالوصول آخر الرحلة ونهايتها ورجوع الرّحالة إلى مقامه الأول لوطنه فحسب ؛ بل يحوي كذلك كل مشاهد الوصول إلى كل مكان للرّحالة جديدا عليه ، أو هو مقصد الرّحلة الأساسي أو ما يعرف بالمكان " الرّحلة " [1].

فمن خلال هذه العناصر يتبيّن لنا أنّ الرّحلة لا تخرج في حقيقة الأمر عما يوّضحه الرسم البياني التالي :

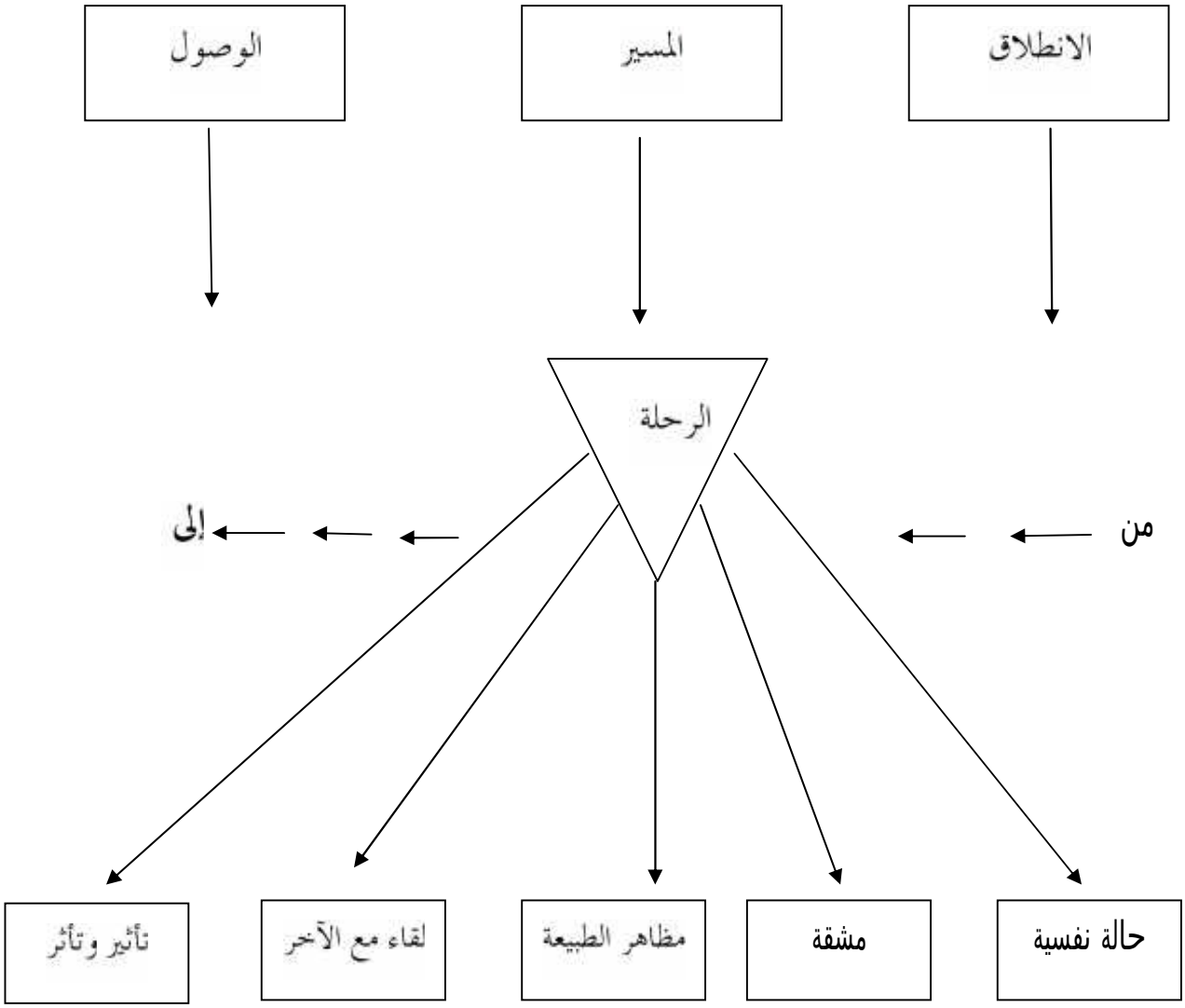

[1] سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،" دراسة في النشأة والتطور والبيئة " ، دار الهدى للطباعة والنشرو التوزيع عين مليلة ،الجزائر، 2009،ص: 110، 111.

يوّضح لنا هذا المخطط تتبع مسار اتجاهات الرّحالة في رحلاتهم للوصول إلى المشرق العربي وهنا نجد اختلافا واضحا إذ أن هذا المسار تتخلل فيه أحداث متنوعة من حالة نفسية ومشقة منها فرحٌ أو غضب ، كما يلتقي فيه الرّحالة من خلال مظاهر الطبيعة أناس آخرون ، وهنا لقاء مع الآخر فيتعرف عل عاداتهم وتقاليدهم فيجد تباينا في لغاتهم وثقافتهم فيتواصل معهم ، وبالتالي يحدث هذا التأثير والتأثر إذ يأخذون منه ، فيؤثر فيهم وبالتالي تتسع ثقافته ومعارفه ، ويأخذ عنهم فيتأثر بهم .

" عرفت الرحلة في الوطن العربي تراجعا ملحوظا خلال القرنيين : التاسع والعاشر الهجريين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي لشدّة وطأة الحروب وتزايد هجمات الأوربيين على السواحل المغاربية على الخصوص ، لكن الرحلة رجعت إلى نشاطها المعهود ابتداء من القرن الحادي عشر هجري .ـ " السابع عشر ميلادي " ونذكر من الذين عرّفوا لفن الرّحلة بعد ابن خلدون ، الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي (ت 975هـ ، 1550م) مؤلف رحلة " وصف إفريقيا " و" أبو سالم العياشي " (ت 1090هـ) صاحب الرّحلة الضّخمة " ماء الموائد " ومحمد بن علي الرافعي الأندلسي التطواني(1096هـ ، 1684م) مؤلف رحلة " المعارج المرقية في الرحلة المشرقية " وأحمد بن ناصر الدّرعي " (ت 1128هـ) صاحب الرحلة الناصرية الكبرى " [1].

وبعد بداية القرن 20 زاد نشاط الرّحلة وكثر الاتّصال بمختلف مواقع الحضارات الحديثة وانتشرت العديد من العلوم ؛ أي أن أكثر مما كانت عليه الرّحلة من قبل ؛ أي في مرحلة القرون والاستعمار والوضع الذي عرفته في حقب زمنية ، فزاد الوحي وكثر الرّحالون خلال العصر الحديث ، وأصبحت الرّحلة ذات شكل في الأدب ، وليست دراسة تنحصر فقط بالتاريخ والجغرافيا كما كانت من قبل ؛ بل تجاوزت كل ذلك وتطورت إلى أبعد الحدود .

[1] سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،" دراسة في النشأة والتطور والبيئة " ص، 44، 45 .

ثانيا : رحلة الشتاء والصيف :

تبدو عناية ديننا الحديث بالرحلة من خلال وجود ذكرها لفظا أو معنى مرات عدّة في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، إلا أن لفظ الرّحلة ورد مرة واحدة في الكتاب المحكم في سورة قريش التي يقول فيها الله عز وجل : ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)**﴾ [1] ، وهنا ارتبطت الرّحلة بعادة أهل مكة في القيام برحلتي الشتاء والصيف إلى الشام واليمن ، بغرض اقتصادي حيوي وهو التجارة " [2] لقد اعتنى ديننا الحنيف بالرحلة ؛ حيث أنها ذكرت لفظة " رحلة " مرة واحدة في القرآن الكريم لكن معانيها جاءت بكثرة وبمعاني متعددة ومختلفة ، كما حثنا الإسلام في القرآن والسنة على الرحلة ، وشجّع الناس عليها " كونها تعود عليهم بمنافع في حياتهم العملية والعلمية والدينية ، وهي منافع ترتبط ارتباطا وثيقا بالدوافع الكثيرة التي تدفع الإنسان إلى القيام بالرحلة ، حتى أن " الله تعالى خفف عليه بعض العبادات كالصلاة ، والصوم ، في سبيل انجازها من غير حدوث للضرر والمشقة " [3].

وقد أخبرنا القرآن الكريم – وخبره صدق – عن كثير من الأنبياء الذين اعتنوا بالرحلة " والتي ارتبطت لديهم بقضايا التربية والتعليم ، والجهاد والتّفكر ، والدعوة إلى الله وتطبيق شرعه في الأرض ، سبحانه كما حدثنا عن أغراض الأنبياء ودوافعهم الجليلة في أسفارهم ، والنتائج الخيّرة التي شمل نفعها البشرية ، ونجد في الرحلة وسيلة من وسائل تحقيقها مثل : الحج ، والجهاد والدعوة إلى الله ، والسعي للكسب ، والمعاش " [4] .

---

[1] سورة قريش ، الآية: 1-4.

[2] سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،" دراسة في النشأة والتطور والبيئة " ، ص: 16.

[3] المرجع نفسه ، ص: 15.

[4] سميرة انساعد ، الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري، ص: 16.

من هنا نجد بعض الأنبياء الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في القرآن ابراهيم ، وإسماعيل ويعقوب ومحمد صلى الله عليه وسلم ، إضافة إلى رحلة إخوة يوسف عليه السلام ، وقصة الخضر مع سيدنا موسى عليهم الصلوات أجمعين .

وقد وردت لفظة " رحْل " في القرآن الكريم بمعنى البعير :" وهي مرادفة للراحلة في قوله تعالى :﴿ **فلمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أخِيهِ ثمَّ أذن مُؤَذن أيَّتُهَا العِيرُ إنَّكمْ لسَارِقون** (70)﴾ [1] ، وكما تنوعت المفردات الدالة عل نشاط الترحال في القرآن الكريم منها : الظعن الإسراء ، السفر، الحج ، والهجرة ، والسير ، فوردت لفظة " الظعن " مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿**واللهُ جَعَلَ لكمْ مِنْ بُيُوتِكمْ سَكنًا وَجَعَلَ لكمْ مِنْ جُلودِ الأنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكمْ وَيَوْمَ إقَامَتِكمْ وَمِنْ أصْوَافِهَا وَأوْبَارِهَا وَأشْعَارِهَا أثاثا وَمَتَاعًا إلى حِينٍ** (80) ﴾ [2] ، ووردت لفظتي " أسرى " و" إسراء " في موضعين من سورة الأنفال ، وموقع واحد في سورة الإسراء ، وارتبط معنى الإسراء في هذه المواضع بمعنى السير ليلا ، والسفر لغرض رؤية آيات الله تعالى تم تبليغها من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمته " [3] ، وأيضا جاءت بمعنى **السفر** .

ومن خلال هذا فإن معاني مفردات الرحلة كانت تهدف وتصب في مواطن مختلفة ، فكل واحدة وهدفها الخاص التي ترمي إليه ، فنجد على سبيل المثال أنها جاءت بمعنى " السفر " التّعلم واكتساب المعارف والخبرات .

---

[1] سورة يوسف ، الآية 70، أنظر : كذلك الآيتين : 62، 75 من نفس السورة .

[2] سورة النحل ، الآية 80.

[3] المرجع السابق ،سميرة أنساعد ، ص: 17.

ثالثا : أهم الرحلات في الأدب العربي

لقد شرع العرب في تأليف أسفارهم بداية من القرن الثالث للهجرة الموافق للتاسع ميلادي إذ اصطبغت مؤلفاتهم بالصبغة الجغرافية والتاريخية ، " وقد تميز العرب بهذه المؤلفات عن غيرهم من الأقوام ، وأهم من يمثلهم " ابن خَرْدَاذِبَة*" (ت 272هـ) الذي نضجت بين يديه ثمار السابقين من المؤلفين أمثال الأصمعي و الجاحظ ، وقد ألف ابن خَرْدَاذِبَة كتاب " المسالك والممالك " ويليه في التأليف للرحلات جماعة من المعاصرين ، ومن الكتّاب في القرن الرابع للهجرة كأحمد بن جعفر اليعقوبي (ت 284هـ) مؤلف كتاب البلدان ، ثم ابن حوقل (ت 380هـ) بكتابه " صورة الأرض " ويؤلف محمد المقدسي (ت 390هـ) بعدهما كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " وهو في الطابع نفسه ؛ أي أن الجغرافيا ووصف البلدان ، وقد عدّه أكثر الباحثين والمستشرقين على الخصوص من أكبر الجغرافيين العرب آنذاك " [1] ، فاعتبره أغناطيوس كراتشوفسكي " جغرافيا عظيما ، وواحدا من كبار الكتّاب العرب قاطبة " ، كما عدّه آخر ممثل للمدرسة الكلاسيكية الإسلامية بالمعنى الدقيق "[2]

ويدخل في " صنف الرحلات الجغرافية عدد كبير من المؤلفين ، شارك فيها مشارقة وأندلسيين في فترات زمنية متباينة ، ونضم إلى القائمة المذكورة سلفا أهم رحلتين جغرافيتين " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "لأبي عبد الله محمد الإدريسي (ت 562هـ) أكبر جغرافي في بلاد الأندلس "[3]ورحلة تحفة الأصحاب ونخبة الإعجاب " لأبي حامد الأندلسي(ت 564هـ) .

---

* - أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله خرداذبة مؤرخ وجغرافي اشتهر بكتابه الجغرافي كتاب " المسالك والمماليك " الذي وصف فيه المسافات بين البلدان ، وقد عمل في خدمة الخليفة العباسي المأمون ، أشار هذا العالم صراحة إلى كروية الأرض بقوله :" إن الأرض مدورة كدوران الكرة ، موضوعة كالمحة في جوف البيضة " (ت 272هـ ، 912م)

[1] سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،" دراسة في النشأة والتطور والبيئة " ، ص: 40.

[2] المرجع نفسه ، ص: 41.

[3] شوقي ضيف ، الرحلات ، دار المعارف ، مصر ، ط04، 1987م ، ص: 19.

تميز القرن الثالث والرابع الهجريين عند الرحالة بصفة جغرافية في تأليف الرحلات ، كما يعتبر هذا الطابع الجغرافي هو المبدأ المهيمن على رحلاتهم .

ومع أواخر القرن السادس للهجرة عرفت الرحلة العربية تحولا في عملية الكتابة بواسطة جغرافية البلدان ، والوقوف على أهم آثارها الحضارية ، بالإضافة إلى الاعتناء بسرد يوميات الرّحالة من ذكر لمشاعرهم وأفكارهم وانتقاداتهم ، فأصبح أسلوب الكتابة سرديا قصصيا يتسم بالبساطة و السلاسة ، وعلى هذا الأساس انتقلت الرّحلة من الطابع العلمي إلى الطابع الأدبي (فقد مثل الرّحالة الأندلسيين من أمثال " محمد بن جبير(ت 614هـ) أحسن تمثيل الاتجاه الأدبي برحلته المعنوّنة " تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار)[1] ، التي وصفها الدكتور " حسني محمد حسين " بقوله : "إن هذه الرحلة تحوي بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مؤرخ أو جغرافي أو أديب يريد أن يدرس هذه الفترة المهمة من حياة الشرق الإسلامي ، وقد رفع بها صاحبها هذا الضرب من الصياغة الأدبية إلى درجة عالية "[2]

تلك الرحلة لا يمكن الاستغناء عنها كونها تحوي على معلومات مهمّة ، كما أنّها تمثل العمود الفقري لأي دارس له اهتمام بدراسة تلك الحقبة من حياة الشرق الإسلامي .

" وأفادت رحلة " ابن جبير " في موضوعها وصياغتها الكثير من المؤلفين المغاربة والأندلسيين ممن جاؤوا بعد الرّحالة من بينهم " علي بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ) مؤلف كتاب "المشْرِق في حُلى المشْرِقْ" ومحمد العبدري (ت 688هـ) صحاب الرحلة المغربية ، وابن رشيد السبتي الأندلسي (ت 711هـ) مؤلف كتاب " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة أما محمد ابن ابراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت 776هـ) فقد فاق ابن جبير شهرة و اتّساعا في

---

(1) ينظر : سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،" دراسة في النشأة والتطور والبيئة " ، ص: 42، 43.

(2) حسني " محمود حسين " أدب الرحلة عند العرب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط02، 1983 ص32.

رقعة الرحلة بكتابه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " حتى عُدّ اشهر الرّحالين شرقا وغربا ، وقد رأى أحد الباحثين أن فيما عدا هيرودوت :(لم يشهد الفكر اليوناني أو الروماني رحلة من طراز المقدسي أو المسعودي أو الإدريسي أو ابن حوقل أو ابن بطوطة) [1] .

" وإضافة إلى هؤلاء ، نذكر كذلك من رحالي القطر المغاربي عبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ) صاحب التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا الذي تعدّ سيرته الذاتية مضمنة كما هو واضح من العنوان بأخبار رحلات ابن خلدون في المغرب العربي والمشرق "[2] .

من خلال هذا يتّضح لنا أن رحلة ابن جبير قد اكتسبت شهرة من خلال صياغة موضوعها ومضمونها على غرار الكثير من الرّحالة كالمقدسي ، والأندلسي ، والعبدري ، كما أنّه لا يغفل علينا عبد الرحمان ابن خلدون الذي تتضمن سيرته الذاتية أخبار رحلاته في المشرق والمغرب .

ومع حلول العصر الحديث يتغير اتجاه الرحلات من المشرق والمغرب إلى أوروبا ، ولعل هذا راجع إلى التطور الحاصل بدول الغرب خاصة بعد الثورة الصناعية ، ولم يعد المهتمون بطلب العلم يشدون الرّحال إلى مصر والحجاز والشام والعراق كما كان قديما ؛ بل أصبح هؤلاء يتوجهون نحو فرنسا وإيطاليا وانجلترا وأمريكا وغيرها من الدول الغربية ؛ بل خصّت كذلك أغراضا شتى سياسية ، واقتصادية ، وسياحية ، واستطلاعية :" فكانت رحلات العرب إلى الغرب من أهم الوسائل التي عرفتهم بمظاهر الحضارة الأوروبية في القرن التاسع عشر " [3] .

ومن " أشهر الرحلات التي مثلت هذا الاتجاه في بداية النهضة شيخ الرّحالين رفاعة رافع الطهطاوي مؤلف كتاب " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " وفيها رصف رحلته إلى فرنسا،

---

(1) ينظر : فاطمة حمود ، الرحلات ...والرحالة قديما وحديثا ، المطبعة التعاونية ، دمشق ، 2004م ، ص: 81.

(2) سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،" دراسة في النشأة والتطور والبيئة " ، ص: 43، 44.

(3) نازك سابايارد ، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط01، 1979م ، ص: 10.

وكذلك أحمد فارس الشديّاق (ت 1305هـ ، 1887م) الذي أنجز رحلات إلى مالطا وبريطانيا وفرنسا ، جمع أخبارها في كتابين سماهما " الوساطة في معرفة أحوال مالطا " و " كشف المخبأ عن فنون أوروبا " إذ قام بمالطا أربع عشر سنة وأقضى في باريس ولندن أكثر من تسع سنوات " [1] .

نتيجة للتطور الذي شهده العالم الغربي مع العصر الحديث خاصة بعد الثورة الصناعية تغير مسار الرحلة من المشرق والمغرب إلى أوروبا ، ولم يبقى هدف الرّحالة أثر في التعلم فقط ، وإنّما لأهداف أخرى كالاقتصاد والسياسة وغيرها .

أما " في المغرب العربي فنخص بالذكر الرّحالة خير الدين التونسي (ت 1308هـ 1890م) الذي قام برحلات ذات أغراض سياسية وإدارية ، نحو الكثير من البلدان الأوربية منها فرنسا ، بلجيكا ، إيطاليا ، النمسا ، إنجلترا وأوجز أخبار رحلته إلى فرنسا التي كانت عام (1853م) في كتاب سمّاه "أقوّم المسالك في معرفة أحوال الممالك " [2] ، وفي الجزائر تعدّ " رحلتا الجزائريين سليمان ابن صيام وأحمد ولد قادة المنجزتان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"[3] والمعنونتا بـــ" الرحلة الصيامية والرحلة الفادية في تبصير أهل البادية " تعتبر من الرحلات التي مثلت التوجه الجديد لدى الرّحالين .

من خلال هذا يتبيّن لنا أن المغرب العربي هو الآخر كذلك غيّر وجهته نحو أوروبا وذلك لأهداف وأغراض كثيرة ومتنوعة تهدف إلى البحث والاستكشاف حول فن الرحلة ، فتعدد (الرحلات في القرن العشرين وتتنوع الاتجاهات والمقاصد ، ويعجز البحث عن تعداد الرحالين

---

(1) حسني " محمود حسين " أدب الرحلة عند العرب ، ص: 85.

(2) نيازك سابايارد ، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة ،ص.65

(3) عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، " تاريخاً ، وأنواعاً ، وقضايا ، وأعلاما " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995م ، ص: 116، 118.

المعاصرين في الوطن العربي كمحمد لبيب البتنوني (ت 1357هـ ، 1938م) المعروف برحلته الحجازية) [1] .

(ومحمد الخضر حسين (ت 377هـ ، 1958م) صاحب رحلات كثيرة في المغرب والمشرق منشورة في مجلات عربية مختلفة) [2] ، إضافة إلى " أمين الريحاني (ت1876م 1940م) وهو أديب لبناني يعتبر من أكبر كتّاب الرحلة في الأدب العربي ألف ملوك العرب " وقد سجّل مشاهداته في بلدان عربية ووصف عادات أهلها ، كما زر بعض ملوك العرب ومن بينهم الملك عبد العزيز ، وطاف بالمغرب ، فدوّن رحلته في كتاب ضخك سمّاه " المغرب الأقصى ونور الأندلس " ومن الرّحالة كذلك محمد حسين هيكل ، وطه حسين ، وحسين فوزي وكثيرون غيرهم " [3] .

ونلاحظ من خلال أهم الرحلات أن الرحلة في العصر الحديث تختلف كل الاختلاف عن الرحلة في العصر القديم ، ولعل هذا راجع إلى عدّة أساب وخصائص ومميزات ، وعلى رأسها النهضة التي عرفتها الأمة العربية خلال القرن العشرين ، فتنوعت وسائل السفر والنقل ، وانتشرت وسائل التكنولوجيا ، فبعدما كان الإنسان يتنقل من مكان إلى آخر ، أو من بلد إلى آخر برّا وعلى الأرجل و المدة الزمنية الطويلة أصبحت الرحلة في العصر الحديث جوا والتي تعدّ من أهم المميزات التي ظهرت في هذا العصر .

---

(1) أنظر : عبد العزيز بن صالح الهلابي ، الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني ، دراسة مقارنة " مقال " ندوة الرحلات ، دار الملك عبد العزيز ، ص: 81، 134.

(2) ينظر : سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،" دراسة في النشأة والتطور والبيئة " ، ص: 48

(3) عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث " مكونات السرد"، ص: 52.

مفاهيم ودلالات حول الرحلة

المبحث الأول : المفهوم اللغوي والاصطلاحي للرحلة

المبحث الثاني : دوافع الرحلة وضروراتها وأنواعها

المبحث الثالث : أدبية الرحلة وعلمية الرحلة

المبحث الرابع: أهمية الرحلة واهم الرحالة المغاربة

المبحث الخامس: تقاليد السفر وآداب الرحلة

المبحث الأول : مفهوم الرحلة :

أ- التعريف اللغوي :

(كلمة رحلة تكاد تتكرر في معانيها اللغوية ، ونجدها في كافة الموسوعات اللغوية العربية وهي التي تعني حركة انتقال لشخص أو أشخاص من مكان إلى مكان آخر ، وهذا هو المعنى اللغوي الذي نقصده للكلمة ، ونجد معنى الرحلة في القواميس العربية يتنوع) [1] .

" في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، رحل : الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضيي في السفر ، يقال : يرحل رحلة والرحلة : الارتحال ، ورَحَلَتُهُ إذا أضعناه من مكانه " [2] .

أما في لسان العرب فنجد : " رَحَلَ الرَّجُل ، إذا سار ورَحَلَ رَحُول ، وقومٌ رُحَل أي يرتحلون كثيرا ورجل رحَّال عالم بذلك ومُجيدٌ له ، والتَّرَحُل والارتِحَال : الانتقال ، والرحلة : اسم للارتحال " [3].

وجاء أيضا معنى الرحلة في قاموس المحيط بمعنى " ارْتَحل البعير ، ساروا ، مضى القوم عن المكان انتقلوا كتَرَحَلوا ، والاسم الرّحْلة ، والرُحْلة بالضم والكسر ، الوجه الذي تقصد والسفرة الواحدة " [4].

---

[1] ينظر : عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث " مكونات السرد " ص: 15.

[2] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء ، معجم مقاييس اللغة ، تح: شهاب الدين بو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، 2005م، ص: 446.

[3] ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ، لسان العرب ، عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط04 2005، ص: 371، 371.

[4] الفيروز أبادي ، قاموس المحيط ، توثيق ، يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت، 2008، ص: 904.

نرى من خلال ما ذكرنا سابقا أن معنى الرحلة تعدد وتنوع في المعاجم والقواميس العربية ، والأشهر أن الرحلة جاءت بمعنى السفر والانتقال ، فكانت معاني تطلق على الشخص الذي ينتقل من مكان إلى آخر .

تطورت لفظة "الرحلة " عبر مختلف الأزمنة والعصور التي مرّ بها الإنسان (نلاحظ من خلال المعاني التي وردت بها لفظة " الرحلة " أنّها تطورت دلاليا عن مفهوم العرب ، فكانت في بداية الأمر تصب في معنى " البعير " التي كانت تعرف بالرُحَّل ، وهذه الأخيرة تمنح الإنسان التنقل من مكان إلى آخر والسفر ، ثم فيما بعد تغيرت دلالتها وأصبحت تدل ومقترنة على الإنسان المستعمل للبعير ، كما أنّها نسبت على الأقوام الذين تعودوا على كثرة الرحلة فأطلقوا عليهم قومٌ رُحَل) [1] ، مع مرور الزمن تغير مفهوم الرحلة عند العرب وأصبح يحمل دلالات مختلفة.

فقد نجد أنّ لفظة " الرحلة " جاءت أيضا بمعنى "السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه ، وبمعنى دَنُو المكان المراد الوصول إليه ، أو اقتراب وقت الرحيل ، ولهذه المعاني كان معظمها يطلق على من انتقل من مكان إلى آخر ، ومنه أخذ لفظة " رَحَالَ : وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر " [2] .

وهناك رأي آخر ، رأى بأنّه " رغم تعدد مشتقات مادة " رَحَل " إلا أنّها تشترك في معنى عام واحد وهو الحركة التي ارتبطت بالإنسان قبل وجوده على الأرض وبعده ، وهي دليل حياته مثلما يكون السكون دليل موته " [3] .

---

[1] ينظر : سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ، ص: 14، 15.

[2] عواطف محمد يوسف نواب ، الرحلات المغربية والأندلسية ، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرن السابع والثامن هجري ، دراسة تحليلية مقارنة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، د ط ، الرياض ، 1996، ص: 5

[3] المرجع السابق ، ص: 15.

الرحلة بمفهومها اللغوي تهدف على أنّها الانتقال من مكان إلى آخر لأنّ الإنسان في حركة مستمرة وحيوية باستمرار في هذه الحياة .

التعريف الاصطلاحي :

تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح فنجدها كما عرّفها الباحثون والعلماء " لا يبتعد كثيرا مفهوم الرحلة اصطلاحاً عن مفهومها لغة إذ يشتركان في الصفة اللازمة بفعل الترحال وهي الحركة ، غير أننا نلمس من خلال عرض أقوال بعض الأعلام ، والإشارة إلى الفوائد التي يجنيها الإنسان من وراء الرحلة مثلما نجده في قول الرّحالة [1] " ابن الحسن علي المسعودي (ت 345 هـ) "ليس من لزم وطنه قَنَعَ بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه ، كما قسّم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه ، وإثارة كل نفيس من مكمنه"[2].

من خلال هذا القول نلاحظ مدى قوة الرّحالين العرب في اكتساب العلم والمعرفة ، وما مدى إطلاعهم على مختلف الأخبار من مركزها الأصلي ، فلم يكونوا يعتمدون على الاكتفاء بالقراءة والسماع ؛ بل كانوا يقومون بالترحال إلى عين المكان وأخذ الحقيقة بمشاهدتهم الفعلية .

ويرى الشيخ حسن العطار في الرحلة فرصة لمشاهدة عجائب الدنيا ومحكا أساسيا لتجارب الإنسان ومعلوماته ، فيقول في معرض تعليقه على رحلة رفاعة الطهطاوي إلى باريس " [3] السفر مرآة الأعاجيب وقسطاس التجاريب " [4].

---

(1) سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ، ص: 20.

(2) أبو الحسن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، ج01، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000، ص: 20.

(3) المرجع السابق ، سميرة انساعد، ص: 21.

(4) حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، سلسلة " عالم المعرفة " 38 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1989م ، ص: 19.

رحلة الإنسان أثناء سفره من عالم إلى آخر تكشف له عجائب الدنيا من خلال اكتشافه ومشاهدته لهذه الأماكن ، ولقد عرّفها الإمام الغزالي " بأنّها نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة " [1]، من خلال قوله هذا جعل الرحلة مرتبطة بالاحتكاك مع الآخر ذلك لا يكون إلا بعد جهد وتعب ناتج عن ذلك الانتقال من مكان إلى آخر .

أما بطرس البستاني فيعرّفها بأنّها : " انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة " [2] ، إن للرحلة عدّة دوافع وأسباب عند الرّحالة فلكل واحد منهم سببه الخاص من تلك الرحلة .

(إن الرحلة تتعدد مضامينها وأساليبها وتتداخل مع خطابات أخرى ، وهي تعد إلى حد كبير من المصطلحات التي تدل على الفضفضة والهجينة ، كما أنّها تضم وتحوي على موضوعين أساسيين وهما الأدب من جهة والرحلة من جهة أخرى) [3] .

" وإذا كان الأدب عمومها فهي تحمل في طياتها مصدرا تغذي به مجموعة من العلوم كالجغرافيا والتاريخ والاجتماع والاقتصاد والإثنوغرافيا ....لأن الكاتب يستسقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية والتصوير المباشر " [4]، تعتبر الرحلة جزء من تاريخ الأدب فهي تحتوي وتشمل على العديد من القضايا والمفاهيم التي غذت بها علوم أخرى .

ونجد أن الرحلة قد تتداخل مع عدّة فنون " بالإضافة إلى كونها أدبا فهي تشكل باقة من الأجناس الأدبية التي تتداخل وتشترك معها في عدّة خصوصيات كالسيرة الذاتية ، والتراجم

---

(1) أبي حامد أحمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج02، دار الكتب العلمية ، ط01، بيروت ، 1986م ، ص:273.

(2) بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، مج08، مطبعة المعارف ، دط ، بيروت ، 1884م ، ص: 564.

(3) ينظر : عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث ، " مكونات السرد " ص: 86.

(4) حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، ص: 17.

والحكايات ، والرسائل ، والتصوف ، والشعر ...؛ بل هي تتسع لأكثر من ذلك فهي من فنون القول الذي يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد " [1] .

تتداخل الرحلة مع فنون كثيرة لتعالج قضايا وتحاول إنعاش هذا النص من خلال امتزاجها وتخالطها مع هذه الفنون مثل التراجم والشعر وغيرهم ، فالرحلة نص يمزج بين شكله الأدبي ومضمونه العلمي ، تتكامل لتشكل نمطا خاصا من أنماط القول الأدبي يتميز بها من سائر الأجناس الأدبية الأخرى ؛ بل أكثر وظيفية من هذه الأشكال .

أما صورة الرحلة بهذا التداخل في الأشكال والمضامين فهي كتابة تنتمي إلى النثر الفني نوعا وتستمد موضوعاتها من الرحلات التي كانت انجازا فعليا على أرض الواقع ، يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه من أحداث ملونا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم وتقوم بتسلسل الأحداث وصفا للمعالم الحضارية والتاريخية والشخصيات المهمّة التي لقيها من حكام وعلماء وغيرهم" [2] .

من خلال هذا القول يتّضح لنا أن الرحلة حينما امتزجت في شكلها الأدبي ومضمونها العلمي شكلت نمطا خاصا يتميز عن باقي الأجناس الأدبية ، ذلك أن صورة الرحلة تعتبر في موضوعاتها انجازا فعليا من خلال ما عاشه الرّحالة من أحداث ، ووصفه للمعالم الحضارية والالتقاء بعلمائها.

---

[1] حسين محمد حسين ، أدب الرحلة عند العرب ، ص: 06.

[2] عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث " مكونات السرد " ص: 16، 17.

المبحث الثاني : دوافع الرحلة وضروراتها و أنواعها:

الرحلة سلوك إنساني ، وفعل طبيعي عرفه الإنسان منذ أن عرف الحياة ، ساير الرحلة بكل ظروفها متجاوزا كل الصعوبات ومتحديا كل العراقيل والدوافع ، تعددت واختلفت هذه الدوافع من شخص إلى آخر ، ومن زمان إلى زمان وفقا لظروف الحياة ، ومن هذه الدوافع المتنوعة نذكر:

أ- الدافع الديني :

" تمثل في رحلات الحج والعمرة ؛ حيث تصبح طرق العالم مرة من كل سنة حركة لا مثيل لها ، وهي طرق التي تؤدي إلى مكة ، فيرتادها زوار من أهل الاستطاعة المادية والصحية والاجتماعية ، عبر أصقاع العالم كله ، ومن كل فج عميق يلبون الدعوة ، امتثالا لإرادة الله تعالى ، يأتونها سعيا وفي قلوبهم السكينة إنّها مكة المكرمة ، فمنذ أن حجّ النبي صلى الله عليه وسلم حجّة الوداع فرض الحج كركيزة من ركائز الإسلام " [1] .

تميزت رحلات الحج بالدافع والبعد الديني ، فالرحالة ذكروا المعالم الدينية والعلمية ، وذلك من خلال ما شاهدوه في طريقهم إلى مكة ، أو عن طريق وصولهم إلى البقاع المقدسة ، فكان الهدف الذي يسعون إليه هو هدف ديني .

(تزود بعض الرّحالة بالعلم والدراسة على أيدي فقهاء وعلماء مكة ، فحكوا أخبارهم وكل ما له من صبغة دينية لأن هذا الدافع " الدين " كان هدفهم الأساس لما كان يحمله هؤلاء الفقهاء من جاذبية روحية) [2] ، ارتحل الناس إلى الأماكن المقدسة لتلبية نداء الرحمن وتطهير النفس من الذنوب من جهة ، ومن أجل اكتشاف المعالم والتعلم من جهة أخرى .

---

[1] عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث ، ص: 28، 29.

[2] ينظر : محمد محمود محمدين ، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ، مكتبة الإسكندرية ، 1996م ، ص: 176.

الدافع الديني تعدد فيه دور الحكام والأمراء الذين ساهموا في تيسير طريق الرحلة إلى الحجاز.

يقول محمد حسين فهمي حول مضمون الدافع الديني للحكام والأمراء " أن الحجاج كانوا يتجهون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو كلها تقدم بها الطريق ، مما ينضم إليها من وفود حتى يصبح في النهاية للعراق حَجِيْجَهُ ، وللشام حَجِيْجَهُ ، ولإفريقيا حجاجها ، وتسير القافلة في ألفة ونظام وتعاطف شامل يحميها جنود الحكام ، ويرحب بها سكان المدن والقرى في معظم الأحيان ويزداد الترحيب كلما زاد في القافلة عدد العلماء ورجال الدين [1].

ارتحلت قوافي الحجاج من علماء وفقهاء في مختلف ربوع الوطن العربي ، وكلهم كان لهم دافع ديني تعلمي في جوٍ يسوده الألفة والمودة والتعاطف ، (من رحلات الحج نجد زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، وكذلك زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء الصالحين وكذلك كان المسيحيون يحجون إلى البيت المقدّس من أجل نشر العلم والدين كما أن هناك تداخل بين الغرض الديني والعلمي ومن أشهر الرّحالة في رحلات الحج ،رحلة ابن جبير وابن بطوطة ومحمد العبدري ، فساهموا في تطوير هذا الغرض وهذا الفن في شكله الأسلوبي والمضموني) [2].

هناك رحّالة تعلقوا بزيارة الأماكن المقدّسة وشدهم الشوق إلى زيارتها كزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم شاهدوا واجتهدوا برحلاتهم هذه ، وهذا كله من أجل الاستفادة ومنها الاطلاع عليها ومواصلة ما بدأوا به .

---

[1] حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، ص: 90.

[2] ينظر : سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ، ص: 28.

ب- الدافع التجاري :

من الدوافع التي نجد أنّ الإنسان لجأ إليها خلال الرحلة " الدافع التجاري " ، " عرف العرب التجارة منذ القديم فساهم هذا الدافع في انجاز وتطور الرحلة ؛ حيث أنّها وصلت إلى أعلى الدرجات بصورة بالغة من الأهمية في العصر العباسي خاصة بعد تطور الحياة الاقتصادية ، ففتحت الطريق إلى التجار للسفر في أماكن وأراضي جديدة بواسطة القوافل والسفن ، ساهموا في بلوغ هدف عظيم ألا وهو نشر الإسلام والتعريف بتعاليمه ،و نجد من أشهر الرحالة التجاريين (ياقوت الحموي (ت 626هـ) والتي من خلالها ألف كتابه " معجم البلدان) [1] .

للتجارة دور فعّال وأثر بالغ عند الرحالة العرب فساهموا في تطوير واتساع فن الرحلة ، فكانت التجارة سببا من أسباب رواج وازدهار الجانب الاقتصادي " خاصة مع الفتوحات العربية الإسلامية ، فتحت الآفاق واتسعت رقعة الانجاز وتبادل السلع والمتاجر ، وكان التجار يتعرفون على أهل الديار وثقافتهم وكانت هذه المعرفة تنقل رواية وأخبار حتى فَيَضَ الله لها من يدونها وتصبح جزء من التراث الأدبي للرحلة " [2] .

الفتوحات الإسلامية هي الأخرى كانت من أهم الأسباب التي ساهمت في ازدهار التجارة وذلك عن طريق تبادل السلع بين مختلف بلدان العالم ، ذكر في كتاب الرحلات للشيخ محمد الخضر حسين (ت 1958م) في الجانب والدافع التجاري أنّه جاب أقطار المشرق العربي فالتقى بالعلماء واستفاد وتعلم منهم قال : (إنّ الإسلام لم يدع وسيلة من وسائل الرقي إلا ونبّه إليها ودعى إلى العمل بها ، وهذا شأنه ودافعه في الرحلة ، فقد دعا إليها بهدف سامي وأغراض متعددة نجد منها : السعي وراء طلب العلم والتفقه في الدين ، فاعتبر كل علم يحذو ويساهم في علوم

---

[1] ينظر : سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ، ص: 29.

[2] أوليا جلبي ، الرحلة الحجازية ، ترجمة عن التركية وقدم لها الصفصافي احمد المرسي ،دار الافاق العربية،القاهرة 1999،د.ط،ص: 11.

الدين مثل النحو والبلاغة ، وإن هذه الأغراض تخبرنا عن أحوال الأمم السابقة ، وهذا العلم يخلصنا من دار البغي والظلال ويدعونا إلى دار العدل والهداية) [1] .

الدين الإسلامي الحنيف لم يدع أي طريقة أو وسيلة حث بها من أجل الرقي والتعلم ، كما دعا إلى التزود بمختلف علوم الحياة من أجل تعلمها ومعرفتها ، (وأول من حقق هذا النوع من الرحلات النبي موسى عليه السلام **بأمر** من الله تعالى وتوجيها)[2]

الدين الإسلامي الحنيف أوصى بهذا النوع من الرحلة لما لها من فوائد وأهداف تعود بالخير والمنفعة ، قال الله تعالى حول هذا المضمون :﴿ **وَمَا كان المُؤْمِنُون لِيَنْفِرُوا كافة فلوْلا نَفرَ مِنْ كل فِرْقةٍ مِنْهُمْ طائِفة لِيَتفقهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لعَلهُمْ يَحْذرُون.**﴾ [3] ، أوصى وحث الله تعالى على التفقه في الدين بكل أمانة وصدق لما له من فائدة تعود علينا بالخير ، ويرشدنا إلى الطريق الصحيح نتيجة لتعلمه.

لم يترك المسلمون طريقة اكتشفوها إلا وتعلموها وبرعوا فيها في الرحلة وهذا كله من أجل طلب العلم في مختلف العلوم على أيدي كبار الشيوخ والعلماء (قد جاب المسلمون الأوائل في الأرض طلباً للعلم وسعياً وراء الشيوخ والعلماء للنهل من علومهم ، وفي التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة عن شغف السلف بالرحلة من أجل التّعلم) [4]، ونجد هذا في قول الصحابي الجليل " أبو الدرداء لو أَعْيَتْنِيْ آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفتحها عليَّ إلاّ رجل ببرك العماد لرحلت إليه"[5].

---

[1] ينظر : سميرة انساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص: 24.

[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص: 24-25.

[3] سورة التوبة ، الآية 122.

[4] ينظر : المرجع السابق، سميرة انساعد ، ص24.

[5] صبحي صالح ، علوم الحديث ومصطلحاته ، دار العلم للملايين ، لبنان ، د ت ، ص: 53.

لم يترك لا الرحالة ولا الفقهاء ولا العلماء طريق لم يسلكوه في الرحلة إلا وكان غرضه التعلم والتفقه والسعي وراء طلب العلم وتعلمه.

ج- الدافع العلمي :

إن هذا الدافع يعتبر من أشهر دوافع الرحلة وأكثره شيوعا وهذا راجع لسبب أو لآخر لتعلقه بالناحية الدينية ، " الإسلام حث على طلب العلم ، وفرضه على كل مسلم ومسلمة لذا فقد اهتم به طلبة العلم منذ القديم فقطعوا الصحاري والقفار بحثا عن فائدة أو سماع لحديث أو رجاء لقاء عالم ، حتى أصبحت الرحلة فيما بعد شرطا لازما للعالم عموما ولعالم الحديث خصوصا فقد روي عن الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود أنه قال " ما أنزلت آية إلا وأنا أعلم فيما نزلت ولو أني أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله مني تَبْلغُهُ الإبل والمطايا لأتَيْتَه " [1] .

عظمة العلم في الدين الإسلامي كبيرة جدا عند العلماء ، وهذا كله كان يدفع بهم إلى حب الاكتشاف وقوة التعلم .

اهتم الرّحالة بطلب العلم ، فطلب العلم لا حدود له ، ولا مجال له يوجد في مختلف أرجاء الوطن العربي ، أو بالأحرى يوجد في كل العالم .

" روي عن الشعبي (ت 103هـ -721م) لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لا يضيع " [2].

على الرغم أن الرحالة يقطعون طريق شاق في أقصى الأماكن من أجل العلم والاستفادة فهذا الجهد والتعب لا يضيع ؛ بل يكون ذو فائدة كبيرة يرجع إليها الباحث والقارئ .

---

[1] علي ابراهيم كردي ، أدب الرّحل في المغرب والأندلس ، ص: 13.

[2] المرجع نفسه ، ص: 13.

" طلب العلم لم يتوقف زَحْفهُ منذ نزول القرآن الكريم ، ولما توطدت أمور الدولة الإسلامية امتدت الثقافة العربية بثقافات الأمم الأخرى التي احتضنها الإسلام بدأت الرحلة في طلب العلم ، وأصبح الحج أكثر من ضرورة فقد تميز عصر صدر الإسلام والعصر الأموي بنشاط الرحلة في طلب العلم ؛ حيث يرحل طالب العلم " الراوي " إلى صحابي حيث هو فيروي عنه الحديث الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة " [1] ، نظرا لتطور الأوضاع في الدولة الإسلامية ، فإنّها فتحت المجال أمام الرحالة من أجل المزيد في البحث عن طلب العلم .

عرف الإنسان أدب الرحلة منذ القديم ، ومن أجل عيشه واكتساب قوته لابد له من التجارة سعيا له في طلب الرزق والارتحال إلى مختلف الأماكن والأوطان (عنصر التجارة أفاد التجار إلى الانتشار في أرض لم يسبق وأن تعرفوا عليها من قبل ، وساهمت في التعرف على أشخاص ولغات وعادات جديدة ،أصبح التجار يتناقلون الأخبار عبر هذه الرحلات فخاضوا غمار البحار من أجل الكشف الجغرافي من أجل المسالك والأسواق الجديدة ؛ حيث كان التجار يحملون السلع في مختلف أسواق العالم) [2] .

فساهمت رحلات التجارة في التعرف على مختلف الأشخاص وعلى مختلف عاداتهم وتقاليدهم وثقافة أمم لم يعرفوها من قبل "ولعل من أكبر الدوافع التي ساهمت في تشجيع العمل التجاري والرفع من مستواه إلى مستوى التجارة الدولة ، والخلفاء الذين اهتموا بها " [3].

الدولة الإسلامية والخلفاء كان لهم دور فعّال في دافع التجارة " لتسهيل سبل التجارة أقاموا الآبار والمحاط في طرق القوافل ، وأنشؤوا المنائر في ، وبنوا الأساطيل لحماية السواحل من غارات لصوص البحار ، وكان لذلك أثر بعيد في نشاط التجارة الخارجية والداخلية ، وأصبحت قوافل

---

(1) عيسى بخيتي ، أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث ، ص: 31.

(2) ينظر : المرجع نفسه ، ص: 35، 36.

(3) المرجع نفسه ، ص: 36.

المسلمين تجوب البلاد وسفنهم تمخر عباب البحار " [1] ، للتجارة عدّة أسباب وعوامل ساهمت في تطورها ومن بين الأسباب التي أدت إلى نشاطها دور الدولة والخلفاء الذين دعوا إلى تسهيل طرق التجار وتوفير لهم الأمن والسلام لحمايتهم أثناء طريقهم إلى بلدان أخرى .

د- الدافع السياحي :

" الرحلات السياحية كان الهدف منها الاطلاع على عجائب البلاد والسياحة في الأرض كرحلة ابن بطوطة وهناك الرحلات السفارية التي كان أصحابها يقومون بها لأهداف سياحية " كرحلة الاكسير في فكاك الأسير " للمكناسي .

بما أن الرحلات السياحية ، أو بالأحرى الدافع السياحي هو الآخر له دور كبير وفعّال عند الرحالة فإنّه دفع بالإنسان إلى حب الاطلاع والاكتشاف لمزيد من المعرفة والتعرف على العديد من الأشخاص والأماكن والبلدان .

(إن الإنسان هو حر يتمتع من حيث يشاء ، دون حدوث له أي عوائق وحواجز ؛ بل من أجله ليس له سواها في هذه الحياة ، وأمر بالتنقل والترحال بكل فخر واستطلاع والانتقال على هذه الأرض في كل أرجائها) [2] .

كما قال الله تعالى :﴿ **وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ** ﴾ [3] أي ؛ أن الأرض وهذه الدنيا وضعت للإنسان بكل حرية وتنقل أين ما شاء ، وكذلك قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ [4] أعطى الله عزّ وجل الحرية التامة في التنقل

---

[1] حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجيل ، بيروت ، ط4، 1996م ، ص: 255.

[2] ينظر : عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث ، ص: 33.

[3] سورة الرحمن ، الآية: 10.

[4] سورة الملك ، الآية 15.

على هذه الأرض والأكل من رزقه أينما كان سبحانه وتعالى " وقد جعل فيها ربّها عزّ وجل ما يثير الدهشة والغرابة وما يستحق التأمل " [1]، قدرة الله تعالى تفوق ما نتصوره ، وكلما انتقلنا ورحلنا نكتشف الكثير والكثير من الدهشة من ما سوف نراه وكذلك يعتبر الفضول من ميزة الإنسان التي يتميز بها .

يعتبر الدافع السياحي " رحلة تحول غرضها الاستمتاع بالطبيعة والمناظر ، وتغيير الأجواء وكسر للروتين وإضافة أشياء ومعارف جديدة والانفتاح على العالم المتّسع الأرجاء ، وهي في حد ذاتها عشق في التنقل وفضول في التعرف على العالم الخارجي ، وبذلك تتحقق الرغبة في الكشف عن بعض المجهول في الأرض " [2] .

ونرى أن أمر الرحلات السياحية كان يكمن في " أنّها لم تطلب أكثر من المعاينة ، عندما تشاهد الرؤية الجغرافية التي تلفت النظر ، أو أكثر من المعايشة عندما تتعامل مع الناس على الطريق ، أو الذين تعايشهم في الأقطار والأمصار ، وكأنها كانت رحلة متعة ذهنية ونفسية أحيانا ورحلة انفتاح واكتساب مهارات وخبرات من جهة أخرى " [3] ، (يصبح دور الإنسان في هذه الحالة أنّه مخير ويملك ويستمتع بكل حرية بين عدّة أمور تختلف مع اختلاف أصحابها فمنهم من نجده يسعى إلى الشفاء وآخرون كانوا يهدفون إلى ممارسة الهواية). [4]

---

[1] عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث ، ص: 33

[2] سميرة انساعد ، الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري ،ص: 34 .

[3] صلاح الدين الشامي ، الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسات الميدانية ، منشأة المعارف الإسكندرية، 1999م ، ص: 118.

[4] ينظر : المرجع السابق، سميرة انساعد ، ص: 34.

هـ - الدافع الإداري :

تعرف هذه الرحلات بالرحلة الرسمية أو السفارية أو التكليفية و(هي رحلة رسمية يقوم بها الرحالة بطلب من الحاكم لقضاء حاجة تتعلق بشأن البلاد ، كما تخص الحاكم نفسه ؛ بل إن هذا النوع من الرحلات قد يكون بهدف التجسس والاستطلاع ، كرحلة سلام الترجمان 227هـ/841م ، والتي كانت بتكليف من الخليفة الواثق بالله قصد معرفة حقيقة سدّ الصين الأكبر الذي يقال إن الإسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج ومأجوج)[1].

إن الرحلات الإدارية أو الرسمية التي قام بها الرّحالة ما كانت سوى لغرض المصالح الشخصية أو لمصالح تتعلق بشؤون الدّولة ، كما " يخص هذا النوع من الرحلات النشاطات السفارية المختلفة ، وأهمية توطيد العلاقات بين الدول العربية ، والدول الغربية المجاورة لها "[2].

ويدخل في باب التكليف الإداري طلب بيانات عن البلدان التي امتد لها الإسلام ، وتقدير الثروات والضرائب ، وتقديم التقارير ، وقد أدت الرحلات دورا هاما في تحقيق تلك الأنشطة التي تنضم في مجال الجغرافيا الإدارية أو كتابة تواريخ الأقاليم "[3].

من الأهداف التي ترمي إليها الرحلات الإدارية هي تقوية العلاقات بين الدول العربية وغيرها من دول العالم ، وذلك من أجل تحقيق جو من النشاط والتبادل الإداري المختلف .

ومن الملاحظ أن الدوافع التي تدفع وتشّجع الإنسان على الرحلة عديدة وكثيرة ، ونجد منها كذلك :

---

(1) ينظر : شوقي ضيف ، الرحلات ، دار المعارف ، ط04، 1996م ، ص: 09.

(2) المرجع نفسه، ص: 09.

(3) حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، ص: 91.

و - الدافع السياسي :

(ويتمثل في السفارات التي يبعث بها الحكام والملوك إلى حكام الدول الأخرى وهذا لهدف تبادل العلاقات وتوطيدها ، وكذلك من أجل التحاور ومناقشة الشؤون التي تكون تتعلق بالبلاد كشؤون الحرب والسلام ، أو تمهيداً لفتح أو غزو) .[1]

بالإضافة إلى هذا نجد كذلك :

ز - الدافع الثقافي :

ويكون الدافع الثقافي من خلال (حب التنقل ، وتغيير الأجواء والترفيه من خلال مشاهدة مختلف المناظر بالمشاهدة والمغامرة ، ومحاولة معرفة سر خلق جمال ، وسحر هذه الطبيعة والبشر ، وتكون الفائدة وراء هذا الدافع هو اكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع ، وأيضًا يكون هذا الدافع من أجل التعرف على المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات التي تتمثل في مختلف الكهوف ومشاهدة الغرائب والعجائب من جمال الطبيعة الذي لا يعد ولا يحصى)[2] .

يساهم الدافع الثقافي أعطاء المزيد للمسافر من حب التجول واكتشاف جمال وسحر الطبيعة الخلاب .

ح - الدافع الصحي :

(ويتمثل في السفر من أجل العلاج والاستشفاء من أجل راحة النفس والتخفيف عنها من ضغط العلاج وتخليصها من الكدر ، كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها ، وكذلك نجد أن يكون الهدف من وراء الدافع الصحي يتمثل في الهروب من وباء أو طاعون أو تلوث) [3] .

---

[1] ينظر : فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة ، ط02، 2002م ، ص: 20.

[2] ينظر : المرجع السابق، فؤاد قنديل ، ص: 20

[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص: 20

دوافع الرحلة لا تعد ولا تحصى وهي كثيرة وتختلف من شخص إلى آخر ، وكان لكل واحد دافعه إلى الرحلة .

ط- دوافع أخرى :

(قد نجد أيضًا من أسباب الارتحال كالسخط على الأحوال ، وضيق العيش ، أو الهروب من عقوبة ، و أيًا كان الدافع أو الغرض فإنّها تعتبر في أغلب الأحيان سلوك ذو طابع انساني حضاري لما تحمله من ثمار نافعة تعود بالفائدة على المجتمع والفرد ، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها ، وليست الجماعة قبل الرحلة هي نفسها أيضًا) [1] .

ومختلف هذه الدوافع التي تدفع بالإنسان إلى الرحلة والارتحال ، يقول عنها أبو الحسن المسعودي :(ليس من لزم وجهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار كمن قسّم عمره على قطع الأقطار ، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه ، وإثارة كل نفيس من مكمنه) [2] .

في نظر أبو الحسن المسعودي الإنسان الذي يقطع الأقطار والبحار ليس هو ذلك الشخص الذي يبقى يدور في دائرته المحدودة .

نظرا لمكانة الرحلة في الوطن العربي وما توصل إليه الرّحالة من اكتشاف وبحث ومسار طويل من الكتابة الرحلية للرحالة ، فلابد أن يكون وراء هذا تغيير في حال الوطن العربي ، وذلك من خلال المكاسب العلمية والأدبية التي توصلوا إليها وهنا يطرح السؤال نفسه :" فهل الدول الإسلامية قبل الفتح هي ما بعده ؟ ومصر قبل رفاعة الطهطاوي ليست هي نفسها بعده ، وابن بطوطة قبل أن يجوب البلاد ويطوف بالأمصار شرقا وغربًا ليس هو نفس الرجل الذي آب إلى

---

[1] ينظر : فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص: 21

[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص: 21

وطنه ، وجلس في مقعد العلم والقضاء بملء خبرته وتجاربه ، ويقال مثل ذلك عن ابن خلدون ، وابن جبير ، والبيروني ، وابن حوقل ، والمقدس ، والإدريسي " [1] .

ساهمت الرحلة وأعطت الكثير من التغيير في دول العالم العربي لما حملته من تغير وتطور كبير .

(والذي لا شك فيه أن الرحلة والسفر يكونان جامعان لمجموعة من الدروس والعبر التي تحتفل وتحتشد بالعلم والمعرفة ، وتدهش وتبهر العقل والوجدان مما يزيد هذا في قوة الفهم والاستيعاب كما أنّها أيضًا تصقل قوة الشخصية من خلال قساوة التجربة وحرارة المواقف واكتشاف كل ما هو جديد وكذلك يحملان مواجهة المفاجآت وتحمل مشاق السفر والاكتشاف والإطلاع على مختلف الطبائع ومحاولة التعايش معها) [2].

تعدّ الرحلة وسيلة وحلقة رائعة للاكتشاف بما تثيره من حب الاستطلاع وطلب في المعرفة (إن الرحلة مثيرة من المنظومة الإلهية ، فهي تشمل الكون بما فيه من أنساق بشرية وطبيعية وهذا كله من أجل تحقق المزيد من اكتشاف الذات الإنسانية واختراق وتجاوز كل عائق من خلال تلك المسافات الطبيعية ، وهذا من أجل اكتشاف الحياة في الأكوان المختلفة ، والإنسان كما هو معروف عليه أنه يسعى إلى العمل استجابة لهذه الحياة ويكون منتصر لكل ما خلق الله سبحانه وتعالى في هذه الطبيعة من خير وجمال لا ينتهي) [3] .

وإلى هذا المعنى تقريبًا يشير د.صلاح الشامي :" صحيح أن كل رحلة قد حققت الهدف لحساب الإنسان ، ونبض الحياة المستمر على الأرض ، وصحيح أن الإنسان الذي كرّس اجتهاده لإنجاز الرحلة ولم يفرط أبدا في جني ثمرات الرحلة والانتفاع بها ، ولكن الصحيح بعد ذلك كله

---

[1] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص: 21.

[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص: 21

[3] ينظر : المرجع نفسه، ص:22

هو أن الرحلة قد رسخت كل العوامل والمفاهيم التي بنيت عليها ، مسألة وحدة البشر على الأرض ؛ بل قد فجرت في الإنسان استشعار المصالح المشتركة التي وثقت عروى هذه الوحدة على الأرض ، ومن غير الرحلة ينفرط عقد هذه الوحدة ، وتتضرر حركة الحياة ومثيرها المشترك " [1].

حققت الرحلة للمسافر عدة أهداف ، وفجرت له هدف الوحدة في الأرض التي يسافر إليها لإنجاز رحلته هذه والانتفاع بها " ولأن سعي الإنسان على قدميه وتحمل مشقة السفر ينبع من حس فكري تأسيسًا على استنفار هذا الحس الفطري ، جدّ الإنسان واجتهد لكي يبتكر الوسيلة و الوسائل التي يستخدمها للرحلة ، ولكي توسع دائرة انتفاعه بالرحلة ، ولكي تؤمن سرعة تحرك الرحلة في الذهاب إلى حيث تريد أو تطلع ، أو في الذهاب أو الإياب لحساب حركة الحياة واستجابة لمصالحها " [2] ، جدّ واجتهد الإنسان في تحمل مشقة السفر ، واستخدم كل الوسائل لمحاولة توفير راحة المسافر .

للرحلة دور فعّال في سر وحدة البشر وذلك من خلال أن في عصر لم تجد فيه ، وخلا من وسائل الاتصال الحديثة ، فالرحلة تجاوزت هذا ، و لم يعد العصر متوقف ، وهذا من خلال تحديها أي مكان موجود في الأرض : " على أن ثمار الرحلة لم تتوقف عند التعارف أو صقل الشخصية أو كشف المجهول من طبائع الشعوب ، لكنها تجود بالمكاسب العلمية والأدبية التي قد يتعذر حصرها ، خاصة إذا كان الرحالة متمتعا بقوة الملاحظة ، وشهوة التطلع ويقظة الحواس ، وحب المحاورة والرغبة في التحصيل والحرص على التدوين والتسجيل " [3] .

ليس دور الرحلة والسفر يكمن فقط عند التعارف ؛ بل تتجاوز ذلك إلى أبعد الحدود فهي التي تعمل اكتساب مختلف المعارف " ولعل أبرز دور قامت به الرحلة في العالم العربي هو

---

[1] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص: 22

[2] المرجع نفسه ، ص: 22، 23.

[3] المرجع نفسه ، ص:23.

الخدمة الكبرى التي قدمتها لعلم الجغرافيا ، فقد كان الرحالة في وصف للمسالك والمماليك ، معينا للجغرافي لأنّه يكتب بقلم الذي اتّصل بالظواهر الجغرافية والطبيعية اتصالا مباشرا ، فرأى وسمع كما أنّه كان ذا نفع للمؤرخ ولعالم الاجتماع ، وللأديب والفلكي والفيلسوف ، والسياسي والاقتصادي " [1] .

إنّ الدوافع التي تحث الإنسان على الرحلة متعددة ومختلفة ، فهي تختلف من شخص إلى آخر حيث نجد الإمام الشافعي قد لخص بعض هذه الدوافع في هذه الأبيات ، فقال :

تَغرَبْ عَنِ الأَوْطانِ فِيْ طلبِ العُلى وَسَافِرِ ففِيْ الأَسْفارِ خَمْسُ فوَائِدٍ .

تَفرِيْجُ هَمٍ ، واكتِسَابُ مَعِيْشَةٍ وَعِلمٌ وآدَابٌ ، وَصُحْبَةَ مَاجِدٍ [2] .

دوافع السفر تجمل وتجمع الكثير من أمور الحياة ، فهي ترويح عن النفس وتجاوز للهمّ ،وطلب للرزق وللصحبة النافعة التي ترقى بالإنسان .

أنواع أدب الرحلة :

النوع الأول : رحلة واقعية ورحلة خيالية

النوع الثاني : رحلة شعرية ورحلة نثرية

1- الرحلة الواقعية والرحلة الخيالية :

فالرحلة الواقعية هي رحلة حقيقية قام بها الرّحالة :" فعلا على أرض الواقع متنقلا بجسده من مكان لآخر معاينًا وواصفا المشاهد والمحسوس ؛ حيث يتناولها عادة الباحثون بالقراءة والتحقيق

---

(1) فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص: 23.

(2) محمد ابن إدريس الشافعي ، ديوان الإمام الشافعي ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2001م ص: 14

والتحليل" [1] ، باعتبار أن رحلات الواقع تشكّل في حقيقة الأمر أساس أدب الرحلات وفق زمان ومكان معينين .

هذا إذا كان للرّحالة في الرحلة الواقعية أو الحقيقية ينقل لنا ما شاهده في البلاد العربية التي زارها بدقة كونه تنقل بجسده فعلا ، فإنه في الرحلة الخيالية يطلق الرّحالة عنان أفكاره ومشاعره لينقله من واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى ، وبأزمنة متباعدة ، فالرحلة المتخيلة أو الخيالية "لا تتأسس فعليا في الوجود الفيزيقي ، أو تتطلب تجربة معيشة على المستوى الواقعي ، أو أخرى ذهنية تؤسس لعالم متخيّل ، يجنح إلى صوغ أفكار وتأملات معينة ، تتماشى مع المثالية والعديد من المقولات والتصورات الصوفية والفلسفية ، والدينية التي ترسم رحلة النفس في بحثها عن عالم آخر يكون بديلا عن الواقع ، وصولا إلى المطلق واليقين والحقيقة والمعرفة للتطهر " [2] .

وهذا ما نجده في قول شوقي ضيف بأن :" الإنسان ولد راحلا ، وإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال ، ونجد ذلك مثبوتا في الأساطير الأولى " [3] .

وبعبارة أخرى " فالرحلة الخيالية أوسع من كل ذلك ، فلا تقتصر على الماضي :لا البعيد ولا القريب بل تتعداه إلى الحاضر المعاصر (...)، فهي التي يبتكر الخيال أحداثها جميعا ، وقد يتّخذها أساسا من الواقع ، ثم يدبّر حوله وقائع مبتكرة كما فعل القصّاصون الشعبيون في رحلتي الإسراء والمعراج ، وكذلك الكوميديا الإلهية للإيطالي دانتي ، وملحمة جلجامش ، وأشهر رحلة

---

[1] حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1990م ، ص: 150.

[2] شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي " التجنس ، آليات الكتابة ، خطاب المتخيل " رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط01، 2006م ، ص: 158.

[3] شوقي ضيف ، الرحلات ، دار المعارف ، القاهرة ، ط04، 1987م ، ص: 07.

خيالية ابتدعها الفكر العربي في العصور القديمة " رسالة الغفران " التي أجرى " أبو العلاء المعري " أحداثها [1].

وهنا يتبيّن لنا بأنّ الرحلة الخيالية لا تعد من أدب الرحلات على عكس الرحلة الواقعية التي تشكل أساس أدب الرحلات ، فالرحلة الخيالية تعد من جنس أدبي شقيق له ، وهو فن القصة .

2- الرحلة النثرية والرحلة الشعرية:

إن أدب الرحلة إذا كان قد وُسِم بأنه فن نثري ، اتخذ من الرحلة موضوعا له ،فكذلك نجد الرحلات الشعرية التي لقيت اهتماما كثيرا من طرف الدارسين ، فلقد حاول " أبو القاسم سعد الله " الوقوف عند البعض من هذه الرحلات الشعرية ، والنثرية الجزائرية المكتوبة بلغة فصيحة أم مكتوبة باللغة العامية .

فالرحلات النثرية يقول عنها " أبو القاسم سعد الله " بأنّها (رحلات يتحدث فيها أصحابها عن مشاهداتهم وملاحظاتهم بلغة واقعية أو قريبة من الواقع) [2] ، كما أنّها تعتبر الأكثر شيوعا في الجزائر ولم تكن تتكلم عن المسائل العلمية والشيوخ ، وأهل العلم فحسب ؛ بل اجتمعت في طياتها العديد من المسائل والمواضيع .

ومن الرحلات التي ذاع صيتها في هذا المجال رحلة " أحمد بن عمار " نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، ونذكر أيضا رحلة " الأمير عبد القادر " إلى الحجاز التي تضمنت سيرته الذاتية في كتابه " مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري .

---

[1] حسين نصار ، أدب الرحلة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر ، ط01، 1991م ، ص: 49.

[2] ينظر : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02، " 1500 ، 1830 " ، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1998م ، ص: 390.

- الرحلات الشعرية:

وهي رحلات قام بها أصحابها بتدوينها تنظيمها في شكل شعري ، إذ تمثلت "في وصف الأحاسيس الدينية والروحية ، يقول عبد الله بن عمر البسكري في مطلع قصيدته :

دَارُ الحبِيْبُ أحَقُ أن تَهْوَاهَا وَنَحْنُ مِنْ طرَبٍ إلى ذِكرَهَا .

ونذكر أيضا محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي حين دخل الحرم اهتزت نفسه ، ونطق بقصيد مؤثر افتتحه بقوله :

بُشْرَاكَ يَا قلبُ هَذا سَيّدُ الأمَمِ وَهَذِهِ حَضْرَة المخْتَارِ فِيْ الحَرَمِ .

(كما أن معظم الرحلات الشعرية كانت مستوحاة من الغرب الجزائري ، فبعضها كتب بشعر فصيح وبعضها الآخر كتب بشعر ملحون ، ومن الرحلات الشعرية كذلك والمكتوبة باللغة الفصيحة قصيدة محمد بن محمد منصور العامري التلمساني (ق18) يقول :

أزْمِعُ السَيْرَ إذا دَهَتْ أدْوَاء لِشَفِيْعِ الأنَامِ فهُوَ الدَوَاء .

وهذه القصيدة قصيدة همزية ، وصف فيها مراحل رحلته من تازة ؛ حيث مكان إقامته وصولا إلى الحرمين الشريفين ثم منها إلى الشام) [1].

وهناك قصيدة أخرى تندرج ضمن الشعر الملحون وهي :"لمحمد مسائب التلمساني في القرن (ق12) فقد نظم قصيدة قصّ فيها رحلته من تلمسان إلى مكة المكرمة عبر مدن وقرى الجزائر من إلى غربها شرقها ، مارا بالطريق التقليدي الذي يسلكه حجاج الغرب (مليانة ، فالبليدة ، فمدينة الجزائر ، فمجانة ، فقصر الطبر ، فقسنطينة ، فالكاف ، ثم تونس ، ثم مصر) بينما كان

[1] ينظر : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02، ص: 387، 388.

الذين يأخذون طريق البحر يركبون من تونس ويترلون في الإسكندرية ، وتبدأ رحلة بن مسائب الشعرية بهذا الطالع :

يَا الوَرَشَان أقصِدُ طيْبَة وَسَلِمْ عَلى السَاكِنْ فِيْهَا .

فهذا النوع من الشعر الملحون يصف الأشواق الشخصية ، والأماكن الأثرية في الحجاز وبتفصيل وبراعة " [1] .

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02، ص: 389.

المبحث الثالث: أدبية الرحلة وعلمية الرحلة :

اتجهت جهود العديد من الرّحالة أثناء رحلاتهم وكتاباتهم في الرحلة إلى تدوين هذه النصوص والتنويع فيها ، وذلك من خلال إما أن تكون هذه النصوص مدونة ومكتوبة بطريقة الأسلوب الأدبي ، أو بطريقة الأسلوب العلمي ، وهناك من جمع بينهما في نصوصه :" لعل الرحلة الموسومة بالعلمية والأدبية نص استكشافي يسجل " ويؤرخ الخطة تحول المعرفة الفردية للرّحالة الذي يكتشف ويصطدم ويعرف ، ثم يقارن ويرّكب فعلى مر تاريخ كامل للرحلة فعلا ثم نصا كانت الرحلات الاستكشافية حاضرة عل مستويات مترابطة يصب فيهما ما هو علمي وما هو أدبي دون حدود توضع بين ضفة العلمي والأدبي ، ذلك أن الرحلات العلمية إلى أوروبا زاوجت بين ما هو أدبي وعلمي من خلال دراسات ارتبط فضاؤها بإفريقيا أو بالشرق العربي أو بالدول العربية والإسلامية عامة ، وقد تمركزت النصوص العلمية حول مجال العلوم الانسانية الحقة كالطب والهندسة .....فقد غلبت إلى حدود القرن التّاسع عشر الرحلات الأدبية التي تسعى إلى استكمال المعرفة عن طريق التصحيح والتوثيق ، والإجازة خصوصا في مجال الفقه والحديث ، وقد تجلى ذلك في البحث عن أمهات الكتب والتّقرب من العلماء والفقهاء " [1] .

كان للرحلة قيمتان عظيمتان قيمة علمية وأخرى أدبية ، وهذا ما يوّضح لنا أن الرّحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ودرجة تصورهم أثناء رحلاتهم فيما هو يندرج تحت العلمية وما يندرج تحت الأدبية .

فالرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يغطي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة يشاهدها أو يتسمعها أحيانا ، وينقلها في رحلته ....ولاشك أن الرّحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم وفي درجة اهتمامهم وفي نوع هذا الاهتمام ، كما يختلفون أيضا في درجة

[1] شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي " التجنس ...آليات الكتابة ، خطاب المتخيل "، ص: 151.

صدقهم وأمانتهم ، وفي تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغايرة التي يخضعون إليها ، ومن هنا كانت للرحلات قيمتان عظيمتان ، قيمة علمية وأخرى أدبية " [1].

تختلف نظرة الرّحالة أثناء رحلتهم فكل واحد منهم ورؤيته الخاصة وذلك يدخل ضمن قوة اهتمامهم وصدق أمانتهم .

- أدبية الرحلة :

تتجلى أدبية الرحلة في عدّة مواطن ، وذلك يظهر من خلال تلك الأدبية الفنية والجمالية التي تدلي بها الرحلة في نصوصها ، فتكمن أدبية الرحلة في " الأساطير والخرافات وبعض المحسنات البلاغية ، وجمال اللفظ وحسن التعبير ، وارتقاء الوصف وبلوغه حدا كبيرا من الدّقة ، علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي سلس ، مشرق وهذا هو الذي يجعل بعض الدّارسين يتقنون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي " [2] .

ومعنى هذا أن أدب الرحلة فن أدبي يحمل في طياته العديد من العلوم والمواضيع ، ويقوم على تعدد هذه الفنون في نوع من الدقة والجمال ، فكثيرا ما يلجأ الرّحالة إلى التصوير ، ويعتمد على إبراز فكرته بصورة مرئية محسوسة وملموسة عن طريق تحويل غير مرئي من المعاني إلى المحسوس ، وتعويم الغائب إلى ضرب من الحضور " [3].

ويتّضح لنا من خلال هذا أن الرّحالة بعد دراستهم لجوانب المظهر الحسي يقيم علاقة من التصوير بين المحسوسات ، ويجعل المتلقي كأنّه هو الذي يشاهد بنفسه .

---

[1] حسني محمود حسين ، أدب الرحلة عند العرب ، ص: 06.

[2] سيد حامد النساج ، مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثا ، مكتبة غريب ، دط ، القاهرة ، دت ، ص: 08.

[3] بشرى محمد صالح ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي ، ط01، دار البيضاء ، بيروت ، المغرب ، ص: 18، 19.

كما تتجلى القيمة الأدبية في الرحلات فيما :" تعرض في موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب ، وترتقي بها إلى مستوى الخيال الفني ، وبالرغم ما يتّسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره ، فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتاب القصصي المعتمد على السرد المشوّق ، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى " [1] ، فقد حدّ الدكتور شوقي ضيف في كتابه الرحلات إلى اعتبار أدب الرحلات عند العرب " خير ردّ على التهمة التي طالما اتّسم بها الأدب العربي ، تهمة قصوره في فن القصة " [2] .

إن أدب الرحلة يتميز بتعدد أغراضه من الوصف والحوار والأسلوب في السرد القصصي بعيدا عن التنميق اللفظي والتّكلف في العبارات ، وهذا ما يجعله سهلا للتعبير ، وذلك لهدف نضجه عن طريق خبرة صاحبه " ولا يعني هذا الأسلوب في هذا الأدب قد تخلص من كل الصفات والعيوب الأسلوبية الأخرى ، فهو يعتمد السجع أحيانا ، وهو ينحو منحى الجفاف والصرامة العلمية أحيانا أخرى في تناوله للموضوعات العلمية .

ومع هذا يظل منسوبا في أغلب الأحيان بشيء من الطراوة والاخضرار يبتغيانه غضا وعلى شيء من اللين " [3] ، ذلك أن هذا الأدب قد أثار اهتمام بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته ، فهو تارة علمي وتارة شعبي ، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء تكمن فيه المتعة ، كما تكمن فيه الفائدة ، لذا فهو يقدم مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد لها مثيل في أدب أي شعب معاصر للعرب .

---

[1] حسني محمود حسن ، أدب الرحلة عند العرب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط02، 1983 ، ص:08، 09.

[2] المرجع نفسه، ص: 09.

[3] أغناطيوس كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تر: صلاح الدين عثمان هاشم ، ص: 24.

يتميز أدب الرحلة بميزات خاصة لكونه موضوعا شموليا لما يحتويه من علم وأدب ، وذلك باعتباره من أرقى الفنون الأدبية ، والتي تجتمع فيه أساليب الفنون الأخرى ، كالقصة والمسرحية وفن المقالة الأدبية من غير أن تضبط مقاييسها .

ب- علمية الرحلة :

قيمة وأهمية الرحلة من الجانب الأدبي تمثلت في بعدها وتأثيرها الوجداني ،من خلال ما تحمله هذه القيمة الأدبية من رصد ونقل مختلف الصور والمشاهد في طابع يحمل بعد تأثيري ومتعة ينقلها ويعيشها الرّحالة خلال مشاهداتهم وأحاسيسهم في البلاد التي زاروها ، بالإضافة إلى هذه القيمة الأدبية نجد كذلك قيمة أخرى تجلت في الرحلة وأضافت إليها نوع من الاكتشاف والأهمية في مختلف العلوم والمعارف من تاريخ وجغرافيا واجتماع ، فتكمن وتتجلى هذه القيمة في القيمة العلمية للرحلة ونجد " أن القيمة العلمية قد تأتت لها مما تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير للمعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما يدونه الرّحالة تدوين المعاين في غالب الأحيان من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس وبالحياة خلال رحلته ، وإذا أخذنا هذه العلوم بأنّها تسجيل للظاهرات المختلفة المتعلقة بميادينها ، ودراسة هذه الظاهرات وتفسيرها ، فإن الرّحالة يمثل دور الناقل لهذه الظاهرات ليضعها بين أيدي لجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع مثلا كل حسب اختصاصه " [1].

من خلال هذا القول يفسر لنا بأن القيمة العلمية تكمن عند الرّحالة من خلال ما تحتويه من معارف جغرافية وتاريخية وحتى الاجتماعية و هاته العلوم ما هي إلا تسجيل للظاهرات ودراستها وتفسيرها ، وهنا يمثل الرّحالة دور الناقل لتلك الظاهرة التي ينقلها إلى علماء ومؤرخين آخرين وكل حسب اختصاصه ودراسته .

[1] حسني محمود حسين ، أدب الرحلة عند العرب ، ص: 6، 7.

حيث أن الرّحالة خلال دراستهم لهذه الظاهرة يدرسها من ناحية الاختصاص لكل مجال والاختصاص والمجال الخاص به ، فنجد مثلا " علم الجغرافيا يدرس ظاهرات سطح الأرض الطبيعية والبشرية ، ويقوم منهجه في ذلك على تسجيل هذه الظاهرات وتفسيرها وتوزيعها على سطح الأرض فإن الرّحالة وهو يدوّن مشاهداته الجغرافية إنّما يعمل في خدمة هذا العلم من هذه الناحية على الأقل إذ لم يتجاوزها إلى الخطوة التالية في منهجه ، فهو عندما يصف الممالك والبلدان والأصقاع والأقاليم والمدن والمسالك يتحدث عن المناخ والطبيعة وعن ظاهرات توزيع السكن ، وغير ذلك مما يعتبر في صميم الدراسات الجغرافية ، إنّما يعتبر من هذه الناحية مرجعا أساسيا وعينا كبيرا للعالم الجغرافي الذي يدرس تلك الموضوعات " [1] .

من خلال هذا القول يتّضح لنا بأن الرّحالة قد لعب دور الراصد والعالم لهذه البلدان مساهما في وصف أحوال الأقاليم والممالك ،وذلك باعتماده على علم الجغرافيا الذي بدوره يرّكز على المشاهدة العينية من خلال الوقوف على تلك المعالم والآثار الحضارية .

" ومن المعروف أن بعض المؤرخين والجغرافيين العرب كانوا يجمعون المواد التي يدرسونها وذلك من خلال الرحلة التي كانت تمثل لهم المبدأ الأول قبل أي مسلك آخر وقبل كل شيء حيث أن هذه العلوم التي درسوها الرّحالة قد مرت بمجموعة من المراحل الدقيقة من ضبط وتحديد حتى أصبحت لما هي عليه اليوم من اتخاذها لصفة العلم والتميز القائم بذاته ، وذلك يرجع كل إلى الإنسان وما يمتاز به عقله من ذكاء واجتهاد لاستخدام هذه المواد العلمية " [2] .

يعتبر فن الرحلة المبدأ الأول للرّحالة الجغرافيين والمؤرخين قبل أي آخر ، وذلك من خلال دراستهم وجمعهم لبعض المواد والتي مرت بمراحل لها من الدقة والضبط مما جعلها تتسم بطابع

---

[1] حسني محمود حسن ، أدب الرحلة عند العرب ، ص: 07.

[2] ينظر : المرجع نفسه، ص: 08.

العلمية ، وهذا راجع إلى ذكاء الانسان واجتهاده ، وكذلك نجد من أهم العلوم التي درسها الرّحالة معالجة ودراسة الأحداث التاريخية .

" وشاهدنا بنيان القلعة وهو حصن يتّصل بالقاهرة حصين المتعة يريد السلطان أن يتّخذه موضع سكناه ، ويمد سُورَهُ حتى ينتظم بالمدينتين مصر والقاهرة والمسخرون في هذا البنيان والمتّولون لجميع منها ذاته ومؤونته العظيمة كنشر الرّخام ونحت الصخور والعظام وحفر الخندق المحدق بسور الحسن المذكور ، وهو خندق ينقر بالمعاول نقرا في الصخر عجبا من العجائب الباقية ، وللسلطان أيضا بمواقع أخرى ببنيان والأعلاج يحدونه فيه ، ومن يمكن استخدامه من المسلمين في مثل هذه المنفعة العامة مُرَّفة على ذلك كله " [1] ، ذكر لأهم الآثار والبنايات التي حُصِنَتْ بالقاهرة في عهد السلطان وذكر بعض المحطات والآثار التي عرفتها الحضارة .

و(نجد من أهم الأحداث التارخية التي تعرض لها الرّحالون مجيء سيف الاسلام طغْتَكيْن ابن شقيق صلاح الدين الأيوبي وهذا ما أشار إليه ابن جبير أثناء إقامته بمكة المكرمة إلى قدومه للحجاز في طريقه إلى اليمن على إثر خلاف وفتنة وقعت بين حكامها) [2] .

ذكر ابن جبير أثناء سفره أهم الأحداث التي وقعت وشاهدها وذلك أثناء إقامته بمكة المكرمة وتعرفه على أهم الشخصيات في تلك الفترة ، لم يكن الهدف الرئيسي للرحلة في حد ذاتها قدر اهتمامهم بوضع مؤلف في تقويم البلدان كما فعل المقدسي مثلا أو وصف حضارى اسلامية كما جاء في دراسة البيروني للثقافة الهندية ، إننا نرى في هذه الأعمال ، وما قدمت من مادة ثرية دليلا " [3] .

---

[1] ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ج01، ص: 25.

[2] ينظر : المصدر نفسه ، ص: 117.

[3] حسين محمد فهمي ، أدب الرحلات ، ص: 16.

المبحث الرابع: أهمية الرحلة وأهم الرحالة المغاربة :

تعتبر الرحلة من فنون الأدب العربي ، فهي بمثابة مصدر لوصف الثقافات الإنسانية والتّطلع على بعض جوانب حياة الناس اليومية إذ تتحرك داخلها الشخصيات ، وتتفاوت أهميتها وقيمتها بصفتها " عملا أدبيا يبيّن المستوى الفكري لدى الكاتب ، وبذلك يضيء طرق القارئ المواظب على المطالعة والكتابة ، خاصة في ميدان القصة القصيرة ، كما أنّها تصور لنا بعض ملامح حضارة العصر الحديث الذي عاشوا فيه ، وتصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان"[1].

فكتب الرحلات تبيّن لنا طريقة عيش الشعوب وتصوير حضاراتهم ورصد حياتهم ، وذلك من خلال الجانب الثقافي والاجتماعي " لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنّها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان ،وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين " [2]، إلى جانب الأهمية الجغرافية والتاريخية التي تكمن لنا من خلال مختارات " الرّحالين العرب الأوائل ، فتنضم بذلك إلى التراث العربي الجغرافي والتاريخي ، بما ساهمت به مادة غزيرة وقيّمة كانت نتاج نظر ومعاينة واستقصاء وقراءة من قبل العلماء الرّحالين أمثال " عبد الله محمد المقدسي (ت 390هـ) ومحمد الإدريسي (ت 562هـ) وأبي الحسن المسعودي ، ويفصح المقدسي عن المنهج الذي اعتمده في رحلاته لتقديم مادة علمية دقيقة "[3]، يقول محمد المقدسي في كتابه " من أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " :"اعلم أن جماعة من أهل العلم ، ومن الوزراء قد صنّفوا في هذا الباب ، وإن كانت مختلفة غير أن أكثرها بل كلها سماع لهم ، ونحن فلم يبقى اقليم إلا وقد دخلناه ، وأقل سبب إلا وقد عرفناه ، وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب " [4] .

---

[1] ينظر : حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، ص: 19.

[2] المرجع نفسه ، ص: 19.

[3] سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري " دراسة في النشأة والبنية " ص:37

[4] المرجع السابق ،حسين محمد فهيم ، ص: 19.

"وللإدريسي فضل في تطور منهج الوصف الجغرافي ، ورسم الخرائط حتى أن أحد الدارسين وهو "صلاح الشامي " صاحب كتاب " الإسلام والفكر الجغرافي " **جعله** أعظم جغرافي العصور الوسطى على الإطلاق " [1] ، كما نجد دائرة المعارف الاسلامية قد وصفت كتاب **الإدريسي** "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " بأنه :" أعظم وثيقة علمية في العصور الوسطى " [2] **فقد** " شهدت الجغرافيا العربية ازدهارا كبيرا بفضل مساهمات الرّحالين العرب الأوائل كابن حوقل وابن الفقيه ، واليعقوبي وياقوت الحموي ، وغيرهم من الجغرافيين الرّحالين " [3] .

ولا يغفل علينا الجانب التاريخي الذي أولى عناية بكتب الرحلات وذلك من خلال :" **ما** شاهده مؤلفوها من أحوال الدول ووقائعها ، كما أنّها ساهمت في توطيد الصلات بين الشعوب وحصول التعارف بينها " [4] ؛ حيث أن الرّحالة لا تطأ قدماه "إلا والتقى بطائفة من فضلائه والشأن أن يصف لهم بعض النواحي من حياة قومه العلمية والاجتماعية ، ثم إذا عاد إلى وطنه وصف لهم حال الأوطان التي نزل بها ، فيكون كل من الشعوب التي رحل منها أو نزل بها على خبرة من حال الشعوب الأخرى [5] .

إن أدب الرحلة يتميز بلون أدبي خالص ، إذ يجمع بين الجانب الثقافي الذي يُنمِيْ الفكر لدى القارئ أو المؤرخ ، ويوّسع من ثقافتهم ، والجانب الجغرافي والتاريخي اللذان تميزا بالأهمية البالغة لدى الرّحالين كالمقدسي والإدريسي ، إذ قاما بتصوير البلدان والأقاليم عبر ما شاهدوه أثناء القيام برحلاتهم .

---

(1) حسين محمد فهيم ، أدب الرحلة ، ص: 96.

(2) فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية ، القاهرة ، ط02 ، 2002، ص: 344.

(3) سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري الحديث ، ص: 38.

(4) المرجع نفسه ، ص: 38.

(5) محمد الخضر حسين ، الرحلات ، تح: علي رضا التونسي ، المطبعة التعاونية ، دمشق ، 1976م ، ص: 17.

ومن الاهمية الأخرى للرحلة هي ما يحققه الرّحالة من مكاسب علمية وأدبية " والتي قد ترجع على الرّحالة المؤلف ذاته ، من اكتساب للتجربة والدربة في مجال التأليف ، والتنويع الأسلوبي ، وفي مجال التعبير الأدبي ، وكذلك تنويع للثقافة الشخصية وعدم التركيز على مجال واحد واختصاص إذ تجره الكثير من المناسبات خلال تأليف الرحلة إلى الخوض في مسائل مختلفة علمية وأدبية شتى ، تدفعه إلى البحث والتحقيق والتّأكد من صحة أقواله ، وسلامة أفكاره ومناهجه " [1] .

كما تعتبر الكتابة الرّحلية نصا ثريا يفيض بكم هائل من المعلومات ذلك أنه ،يقوم " بخدمة لفن الرحلة عن طريق التنويع في الكتابة ، وتخصيب التراث السردي ، وإغنائه ، وتوثيق الصلة بين أشكال مختلفة أدبية تهدف جميعها إلى سرد التجربة الذاتية وتعميق المعرفة بالعالم والآخر " [2] .

فمن خلال هذا يتبيّن لنا بأن أهمية أدب الرحلة تضمن البحث والملاحظة والتأمل ، الحوار بالإضافة إلى جمال اللغة والأسلوب ، والرغبة في التحصيل في مختلف المجالات من الناحية الأدبية والعلمية على حدّ سواء ، ذلك أن الرحلة تتضمن عنصر الكتابة التي يستفيد منها الجغرافي والباحث والدارس في شتى العلوم المختلفة كعلم الاجتماع والتاريخ ، والتي أصبحت الدراسات تنظر إليها بمنظار يدعم بما يعرف اليوم عند النقاد بأدبية الرحلة .

أهم الرحالة المغاربة :

لقد تنوعت الرحالات المغاربية نحو المشرق بتنوع أهدافها ومقاصدها ، وتعددت بتعدد أسبابها ورغباتها ، مما أدى إلى الربط بين ثقافة المشرق والمغرب ، ولعل الحافز ألأكبر الذي ساعد على اهتمام الرّحالة المغاربة للمشرق هو الموقع الجغرافي للمغرب ، وذلك ببعده عن الشرق والحجاز من جهة ، وإطلاله عل القارة الأوروبية من جهة أخرى ، وهكذا تتابعت أفواج الرحالة

(1) سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري الحديث ، ص: 39.

(2) المرجع نفسه ، ص: 39.

المغاربة نحو الحجاز ، وتكاثرت وفودهم على هذا البلد المقدّس ، لطلب العلم والمعرفة وأداء فريضة الحج ، ومن بين هؤلاء الرحالة المغاربة نذكر :

1- رحلة المقري :

هو " شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمان ابن أبي العيش بن محمد المقري التلمساني المولود سنة 986هـ/1587م ، والمتوفي 1631م ، وله رحلته المسماة بالرحلة إلى المشرق والمغرب " [1]، فهذه (الرحلة تحوي على معلومات هامة تتعلق بحياة المقري الشخصية في تلمسان ، والمغرب الأقصى ومصر ، والشام ، والحجاز ، كما يعالج في هذه الرحلة الحياة الثقافية والأدبية في عصره ، إضافة إلى توظيفه لمعلومات تاريخية عن بلاد المغرب وأرض الحجاز واليمن وبعض القضايا الفقهية والعقائدية ....) [2].

لقد استطاع المقري (أن يحقق الشهرة التي يستحقها ، وأن يكسب محبة الناس له ، وذلك بفضل أعماله الجليلة التي أنجزها كتدريسه لمختلف العلوم ، ومن أهمها الحديث والتفسير والفقه والأدب) [3] ، إن هذه الرحلة " في حياة المقري سمحت له بالإطلاع الواسع على أحوال المغرب والمشرق ، واكتساب مختلف العلوم والآداب السائدة في عصره ، والاستفادة منها والتأليف فيها"[4].

---

[1] أبو العباس أحمد المقري ، رحلة المقري للمغرب والمشرق ، تحقيق محمد بن معمر ، مكتبة الرشاد ، الجزائر ، 2004م ، ص:05.

[2] ينظر : المصدر نفسه ، ص: 06.

[3] ينظر : سميرة أنساعد ، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الهجريين ، ق 17، 19،الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي ، الجزائر ، ط01، 2011، ص33

[4] المرجع نفسه ، ص: 38.

2- رحلة العياشي :

هو (أبو سليم عبد الله بن محمد أبي بكر العياشي المالكي ، ولد بقبيلة آيت عياش قرب تافلان عام 1037هـ/1628م ، وتوفي عام 1090هـ/1679م ، بسبب مرض الطاعون وعرف بحبه للعلم والدراسة في الزوايا ، فقد كان أبوه شيخ زاوية ، وهو من أشرف على دراسته الأولى ، ثم انتقل إلى زاوية وادي درعة وتتلمذ على يد محمد بن الناصر ، ثم عاد إلى فاس ؛ حيث أكمل تعلمه على يد مشايخ مثل عبد الرحمان بن القاضي ، وبعدها سافر إلى المشرق وأقام بعواصمه طلبا للعلم) [1].

وله "رحلته المسماة **بـــماء الموائد** وهذه الرحلة اتّسمت بالطابع الموسوعي ؛ حيث تتضمن أخبار وحوادث مختلفة شاهدها أو سمعها أثناء أسفاره ، وأهم ما جاء فيها وصف طريق الصحراء والسكان والعوائد ، وأحوال المعاش ، والحديث عن العلماء والدين ، وأتعاب المسافرين رغم الاستطرادات الطويلة للرحلة ، فهذه الرحلة لقيت اهتمام المستشرقين لها لما لها من أهمية بالغة" [2].

3- رحلة الورثلاني :

هو " الحسين بن محمد الورثلاني المولود سنة 1125هـ/1713م ، والتوفي 1193هـ/1780م بالجزائر وله رحلته المسماة " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (وهي رحلة بدأـــ من الجزائر إلى الحجاز ذهابا وإيابا ؛ حيث دوّن فيها الورثلاني ما عايشه وشاهده وسمعه وما أخذه من العلماء والمشايخ في الجزائر وخارجها ، إذ دوّن تراجم ومختارات

---

[1] ينظر : مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، دار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط02ـ1981م ، ص: 17.

[2] المرجع نفسه ، ص: 18.

شعرية في مختلف الموضوعات والأغراض وعلى رأسها التصوف الذي كان منتشرا في الأقطار العربية) [1] .

4-رحلة الزياني :

هو " أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني المولود 1147هـ/1743م، المتوفي 247هـ/1833م رحالة وأديب ووزير مغربي ، تم تعيينه كاتبا بالقصر الملكي ، وقد اشتهر برحلته المسماة **الترجمانية الكبرى** التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا وما تخللها من الأمصار والمدن ، والقرى ، والقفار والبحر والجبال والأنهار ...، فهذه الرحلة ضمت أخبار عديدة في مختلف الفنون والمواضيع " [2]

5-رحلة البوني :

هو (أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني ، المولود سنة 1063هـ و المتوفي سنة 1139 هـ، من أهل عنابة ، وقد ذاع صيته في مختلف المجالات كالمعرفة الدينية والأدبية ، وله رحلته الحجازية المسماة **الروضة الشهية في الرحلة الحجازية** ؛ حيث ذكر فيها رحلته إلى الحجاز ومن أجازهم من العلماء والشيوخ ، الذين أخذ عنهم مختلف العلوم ، والذين زادوا عن العشرين ، وذكر الحفناوي أنها لم تكمل ومازالت في طي الكتمان) [3] .

---

[1] ينظر : مختار حبار ، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر " دراسة ببليوغرافيا " منشورات دار الأديب ، وهران ، الجزائر ، 2007م ، ص: 187.

[2] مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، ص: 20.

[3] ينظر : المرجع السابق ، ص: 46 .

6- **الأمير عبد القادر الجزائري :**

هو (الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى المولود يوم الجمعة الثالث والعشرين من سنة 1222هـ الموافق ليوم 26 سبتمبر 1808م ، المتوفي يوم الجمعة التاسع عشر من رجب 1300هـ الموافق ليوم 24 ماي 1883م) [1] .

لقد قام (الأمير عبد القادر بتدوين رحلته إلى الحجاز ضمن مذكراته التي تتحدث عن سيرته الذاتية والتي قام بجمعها ونشرها بعض الباحثين فيما بعد ، فهذه الرحلة جمعها في كتاب سماه **مذكرات الأمير عبد القادر**) [2] ؛ حيث يتحدث عن رحلته المبكرة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج.

إن (الرحلة التي ألفها الأمير عبد القادر هي رحلة مختصرة عن باقي الرحلات السابقة فالأمير عبد القادر ذكر مسار رحلته انطلاقا من وهران والمدية وقسنطينة ، ثم زار تونس ، ومن هناك ركب البحر متجها نحو الاسكندرية ومنها القاهرة ليصل إلى جدة ، ثم الحرمين الشريفين وقبل رجوعه إلى الوطن ذهب إلى بغداد ؛ حيث زار أضرحة الأولياء الصالحين ، ولقي عددا من العلماء ، كما اطلع على معالم البلدان الاسلامية ، وتعرف على أساليب الحكم العثماني) [3] .

إن علماء المغرب لم يكونوا أقل في تكوينهم العلمي عن غيرهم من علماء الشرق والأندلس فلقد بدت شخصية العالم المغربي من خلال الرحلات متكافئة مع زملائه الذين التقى بهم في الرحلة ذلك باعتبار أن الرحلات مصدر مهم لمعرفة الحيلة الثقافية والبيئات العلمية ، مشرقا ومغربا ففيها ذكر لأهم المراكز والمجالس العلمية للتحصيل العلمي ، والتي كانت هدف الرّحالين والطلبة

---

[1] ينظر : محمد السيد علي الوزير ، الأمير عبد القادر " ثقافته وآثارها في أدبه " وزارة الثقافة للنشر والطباعة ، الجزائر ، دط ، 2007م ، ص: 15.

[2] ينظر : سميرة أنساعد ، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري ، ص: 44.

[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص: 44

فمعظم الرّحالة المغاربة لم يرحلوا إلى الشرق إلا بعد اكتمال ثقافتهم وإلمامهم بفنون مختلفة من العلوم والمعرفة .

المبحث الخامس: تقاليد السفر وآداب الرحلة :

بدأ السفر منذ أن دبّ الإنسان على سطح الأرض وأصبح جزءا يحمل مكانة كبيرة وعظيمة في حياته ومع مرور الزمن ومرور الأيام ، كثرت الرحلة ونشط السفر بين مختلف الأفراد والشعوب ، وكذلك تغيرت طرق الأسفار والرحلات وتنوعت ، ففي بداية سفر الإنسان ، ومنذ زمن بعيد كان يسافر ماشيًا على الأقدام ، أو عن طريق المواشي والقوافل ، ومع مرور الزمن اتسعت مجالات السفر على جميع النواحي برا أو بحرا أو جوا ، ونجد أيضًا أن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حث على السفر وذلك من خلال إرساله للصحابة للقيام برحلات مختلفة ، وكان دائما يرشدهم بإعطائهم النصائح والقيم الأخلاقية التي يتحلون بها أثناء سفرهم ، فرسولنا الكريم وضع آداب وتقاليد للرحلة والسفر وكذلك الخلفاء الراشدين ، كان لهم هم الآخرون دورا فعالا وكبير في ابراز هذه التقاليد والعمل بها والتحلي عليها ، لما لهذه التقاليد من صفات كريمة وأخلاق حميدة ، تعود على صاحبها بالخلق الحسن وتبرز فيه خاصية الإسلام ، الذي منذ أن جاءنا وهو يدعونا إلى القيم الأخلاقية الرفيعة .

للسفر مكانة كبيرة لدى الإنسان فصار اليوم من أهم الأشياء التي يبحث عنها، ويحاول دائما العمل بها ، " أصبح السفر مع مرور الزمن جزءا من حياة الإنسان العربي ومعلما من المعالم الرئيسية التي يسعى إليها في مختلف نشاطاته المتنوعة دينية ، علمية ، سياسية ...؛ بل أكثر من هذا بكثير حتى أصبح لدى الكثير من الأفراد يحمل صورة العبادة ، ولذلك على هذا ، فقد لقى اهتمامًا لدى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين ، ومختلف العلماء ، كما اقتضى الأمر بمناقشة أحوال والظروف المحيطة بالسفر ، والتجوال وعليه وضع للسفر والرحلة مجموعة من الآداب والتقاليد ، وكذلك حث الناس على إتباعها والعمل بها ، لم لها من فوائد كبيرة " [1] .

[1] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص:36.

فقد ذكر عالم من العلماء آداب كثيرة للسفر ألا وهو أبو حامد الغزالي الذي يعيننا في بيان هذه التقاليد والآداب في حجة الإسلام الذي عددها لنا قائلا :

أولا " أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفسه ، ويرد الودائع إن كانت عنده ، ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب ، وليأخذ قدرا يوسع على رفقائه ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : من كرم الرجل طيب زاده في سفره ، ولابد في السفر من طيب الكلام ،وإطعام الطعام ، وإظهار مكارم الأخلاق ،فإنّه يخرج خبايا البطن ، ومن صلح لصحب السفر صلح لصحبة الحضر لأن السفر من أسباب الضجر ، وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر : الصائم والمريض والمسافر "[1] .

ثانيا : من آداب وتقاليد الرحلة نجد كذلك : "أن يختار رفيقا فلا يخرج لوحده ، فالرفيق ثم الطريق، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده ، وقال " الثلاثة نفر " وقال أيضا صلى الله عليه وسلم وإذا كنتم ثلاثة في السفر فأمّروا أحدكم " وإنّما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ، ولا نظام إلا في الوحدة " [2] .

ثالثا : " أن يُوَدِّع الرفقاء أو الأهل ، وقد روى زيد بن أرقم عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه قال :" إذا أراد أحدكم السفر فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة " وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا وَدّع مسافرا قال :" زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، وَوَجّهَك إلى الخير حيث توجهت " [3].

من أهم الآداب والتقاليد التي يجب على المسافر العمل بها اختيار الرفيق الذي يصاحبه في الطريق وأيضًا توديع الأهل والأقارب .

---

[1] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص: 36.

[2] المرجع نفسه ، ص: 36، 37.

[3] المرجع نفسه،ص :37.

رابعا : " أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة ، ووقت الخروج يصلي صلاة السفر ويدعو دعاءه.

خامسا : أن يرحل عن المترل بكرة ، ويفضل أن يخرج يوم الخميس ، وكان الرسول صلى الله عليه و سلم يدعو للسفر في البكور ، ويفضل يوم الخميس ، وسوف نرى أن معظم الرّحالة حرص على أن يبدأ رحلته يوم الخميس " [1] .

من الأمور المستحبة للمسافر والتي تعود عليه بالمنفعة هي اختيار الخروج بيوم الخميس والسفر في وقت باكرا .

وهذا ما جاء في حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس " [2] .

ونجد أيضًا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اللَهُم ! بَارِكْ لأمَتِي في بَكورِهَا قال :وكان إذا بَعَث سَرِيَّة أو جَيْشًا بَعَثَهُم أوَّل النَهَار ، وكان صَخْرًا رَجُلا تاجرا ، وكان إذا بَعَث تِجَارَة بَعَث أوَّل النَهَارَ ، فأثرَى وكثرَ مَالهُ " [3].

رسول الله صلى الله عليه وسلم **يدعو للسفر** في البكور ، ويفضل يوم الخميس وكان معظم الرّحالة حرص على أنة يبدأ رحلته يوم الخميس .

---

[1] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص :37.

[2] سنن ابن ماجة ، الإمام علي حافظ الدين ، مغلطاي ابن قليج بن قليج بن عبد الله الحنفي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ج223/72، مكة المكرمة ، 1999،ص2237.

[3] سنن الترميذي ، الإمام حافظ محمد بن عيسى بن سورة الترميذي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص: 1212.

سادسا : أنة يكون سفر الإنسان ليلا ، وأكثر سيرا وأن لا يترل حتى لا يحمى النهار ، فهي السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل ، ما لا تطوى بالنهار " [1] .

سابعا :" أن يحتاط بالنهار فلا يمشي لوحده وبمفرده ؛ أي بعيدا عن القافلة فلا أحد يستطيع التعرف على ما سيحدث ، ربما يتعرض إلى أن يغتال ، فيجب عليه أن يكون أثناء الليل ، وبذلك أكثر تحفظ في النوم ، ومن المستحب أن يتبادلوا الرفقاء في التناوب أثناء الحراسة ، وإذا تعرض لأي مكروه أو أذى فعليه بقراءة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين " [2] .

لابد على المسافر أخذ معه رفيق لتعيينه المنازل والطرق ، ومرافقته وحمايته من كل سوء ، وعليهم تبادل الحراسة والأمن مع بعضهم البعض .

وكذلك نجد من تقاليد و آداب الرحلة والسفر :

ثامنا : " أن يرفق بالدّابة إن كان راكبًا ، فلا يحملها ما لا تطيق ، ولا يضربها في وجهها ، فإني منهى عنه ، ولا ينام عليها ، فإنّه يقل بالنوم ، وتتأذى به الدّابة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي " وفي الترول ساعة صدقتان ، إحداهما ترويح الدّابة والثانية إدخال السرور على قلب المكارى ، فضلا عن رياضة البدن ، والتخلص من خدر الأعضاء بطول الركوب " [3].

لابد للمسافر أثناء سفره القيام بعدة تمارين رياضية والترويح عن النفس .

---

[1] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص37

[2] المرجع نفسه ، ص: 37

[3] المرجع نفسه ، ص: 37 .

تاسعا : (من آداب الرجوع من السفر أن يحمل المرء لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة ، وهو دلالة على التفات القلب إلى ذكرهم وهو في السفر) [1].

خلال عودة المسافر من الواجب عليه أن يعود بالهدايا إلى أهله وأقاربه " شجّع ديننا الإسلامي الحنيف على السفر ، كما رّخص فيه أداء الفرائض ،وكل ذلك من أجل تيسير شؤون دين المسافر ، فرخص له عدّة أمور منها ، أنّه أباح له التيمم بدل الوضوء ، وكذلك رخص له في الصلاة ، وذلك من خلال صلاته إلى ركعتين في كل من الظهر والعصر والعشاء بدلا من أربعة وأيضا رخّص لله في الجمع بين الظهر والعصر في وَقتِيْهمَا ، وكل من المغرب والعشاء في وَقتِيْهمَا وأيضا رخّص الإفطار للصائم المسافر " [2] .

حث الإسلام المسافر على السفر والرحلة ، ورخّص له عدّة فرائض مثل التقصير في الصلاة وأباح له التيمم ، وأجاز للمسافر كذلك الإفطار في شهر رمضان .

عاشرا : يقول فؤاد قنديل :(ينصح العلماء المسلم بمجموعة من القيم التي ترشده وتزيد من تعلمه في أمور الدين والدنيا ظن نجد منها : تمثل في تعلم كيفية استقبال القبلة ، وأطلقوا عليه وسموه بعلم القبلة والمواقيت ، وهذا أمر مطلوب للمسافر ، إذ أنّه يجد محرابا متفقا عليه يغنيه عن طالب القبلة ويوجد مؤذن يراعي له الوقت ، وفي كثير من الأحيان يجد المسافر بعض الالتباسات ، إذ يختلط عليه الأمر في التعرف على القبلة وعلى الوقت ، فنجد أن للقبلة ثلاثة أقسام) [3].

لعلم القبلة في معرفة المسافر لها تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي :

1- : " أرضية ، كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار .

---

[1] ينظر : فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص: 38.

[2] المرجع نفسه ، ص: 38.

[3] ينظر : المرجع نفسه،ص :38.

2- هوائية ، كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها ، وصباها ودبورها .

3- سماوية ، وهي النجوم " [1] .

رخّص للمسافر لأداء صلاته عدّة أشياء لمعرفة مكان القبلة ، والاتجاه نحو الصلاة " فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد ، فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أن على يمين المستقبل ، أو شماله أو وراءه ، أو قدامه ، فليعلم ذلك وليفهمه ، وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ،ولكل بلد إقليم يحكمه " [2] ، تختلف القبلة الأرضية والهوائية من بلاد إلى أخرى .

تختلف القبلة الأرضية والهوائية عن القبلة السماوية في معرفة المسافر لها " وأما السماوية فتنقسم إلى نهارية وليلية ، النهارية تتمثل في الشمس ،ولابد أن يراعي المسافر قبل الخروج من البلد أن تقع الشمس منه عند الزوال ، ومادام عرف موقع الزوال منه أمكنه معرفة اتجاه القبلة ، ويراعي موقع الشمس وقت العصر ، وتعرف القبلة في المغرب بغروب الشمس ، وفي الصبح بشروقها ، وبعض القبلة والمواقيت أبعد من هذا ليتحدث عن الكواكب والنجوم ومواضعها ودلالات ذلك"[3].

فهذه كلها إرشادات تشجع المسافر عل معرفتها والعمل بها في عالم الرحلة ، كذلك تساهم في تشجيع الراغب على السفر من المزيد والمزيد لاكتساب العلم والمعرفة في أمور الدين والدنيا بما تقتضيه الحياة .

- فوائد السفر :

---

[1]:فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص: 38.

[2] المرجع نفسه ، ص: 38، 39.

[3] المرجع نفسه، ص: 39.

مثلما يوجد للسفر آداب وتقاليد ، فإنّه كذلك له فوائد كبيرة وعديدة وتعود على صاحبها بالمنفعة والخير ، ففي السفر يكون هناك آثار حميدة نذكر منها :

1- **انفراج الهم والغم** " إن الملازم للمكان الواحد ، يصاب بالسأم والملل منه ، فتنتابه الرغبة في التجديد ، وهذا حال بعض المقيمين إذ قد يعتريهم ما يضيق صدورهم ويغتمون به ، فيصابون بالملل والسآمة ، ويشعرون بالرتابة في حياتهم ، فإذا سافر الواحد منهم تغيرت الوجوه من حوله ، واختلفت المشاهد والأجواء عليه ، فحينئذ يذهب همه وينشرح صدره " [1] .

فوائد السفر كثيرة نجد منها كذلك :

2- **اكتساب المعيشة** :

" **من ضاق عليه رزقه في بلد نصح بالسفر إلى بلاد أخرى طلبا للرزق** ، قال الله تعالى :﴿ **هُوَ الذِي جَعَل لكمُ الأرْضَ ذلولا فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكلوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النَّشُورُ** ﴾[الملك 15] ،**فكم من** رجل سافر لاكتساب الرزق يفتح الله عليه .

لَيْسَ ارْتِحَال فِيْ نَفيِ الضَّنَى سَفرا بَل المقامُ عَلى فقرٍ هُوَ السَفرَ " [2].

لاكتساب الرزق وطلب العيش شرّع الله تعالى للإنسان رزقه وقوته في كل مكان ، وأينما ذهب فأرض الله واسعة ورزقها موجود ، أخضرا ويابسًا وهذا كله رزق من الله تعالى لعباده .

3- **تحصيل العلم** :

---

[1] محمد صالح المنجد ، السفر آداب وأحكام ، مجموعة زاد للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط01، 2010م ، ص:07.

[2] المرجع نفسه ، ص: 07.

كان أسلافنا الذين نقتدي بهم من الأنبياء عليه السلام الصالحين ، يرتحلون في طلب العلم ويقطعون المسافات الطويلة أحيانا لأجل سماع حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وقصصهم مبثوثة في مصنفات أهل العلم قديمًا وحديثا " [1]، طلب العلم هو الآخر فرضه الله تعالى على عباده في كل مكان ، وذلك كله من أجل الاستفادة والتعلم .

4- اكتساب الآداب :

(يحرص المسافر في سفره على الالتقاء بمختلف العلماء والأدباء ليأخذ ويستفيد منهم العلوم التي يعرفونها ويكتسب أيضًا منهم حسن الأخلاق والآداب ، وهذا ما يرجع إلى شخصيته بالإيجاب كما يساهم هذا في نقله للمعارف التي تلقاها إلى غيره عند العودة من سفره فيصبح ذو مكانة عالية في وسط أفراد مجتمعه) [2] .

أثناء رحلة المسافر لابد عليه من عزم وعزيمة في سفره هذا في أي أمر من الأمور وعليه أن يسلك الطريق الصحيح الذي يعود عليه بالخير والفائدة ، ومن فوائد السفر التي تعود على المسافر والتي يجب عليه أن يختار هو بذاته لنفسه.

5- صحبة الأخيار :

" ويشهد لذلك الحس والواقع ، فمن سافر وجالس كرام الرجال ، واستمع إلى أطايب كلامهم عاش حميدا ، وأمن الغوائل والشرور بخلاف غيره ، ممن كان سفره سببا لانتكاس قلبه وفساد فطرته والسبب في ذلك الرفقة السيئة ، قال الشافعي رحمه الله :

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّن تُفارِقه ... وانْصِبْ فإن لذِيْذ العَيْشِ فِيْ النَصَبِ

[1] محمد صالح المنجد ، السفر آداب وأحكام ، ص: 8.

[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص: 08.

إِنِيْ رَأَيْتُ وُقوفَ الماءِ يُفسِدُه إن سَاحَ طابَ وَإن لمْ يَجْرِ لمْ يَطِبِ " [1].

على المسافر أن يتوكل على الله في سفره قبل كل شيء ، ويجب عليه اختيار صحبة رفيق الخير والابتعاد عن رفيق السوء لأن ذلك حتما يعود بالضرر عليه .

6- استجابة الدعوة :

" عن أبي هريرة رضي الله عنه عنة النبي صلى الله عليه وسلم قال :"ثلاث دَعَواتٍ مُسْتَجَابَات لا شَكَّ فِيْهِنّ :دَعْوَةَ المظلومْ ، ودَعْوَةَ الوَالِدَ عَلى وَلَدِه ، ودَعْوَةَ المسَافِرْ " [2].

منح الله عزّ وجل لعبده المسافر فرصة الدعاء التي يدعو بها خلال سفره ، ويعتبر دعائه من الأدعية المستجابة من عند الله سبحانه وتعالى .

7- رفع الإنسان نفسه من الذل والمهانة إذعان بين قوم لِئام :

فقد يكون ذا دين وتقى ، وهم أهل فسق ومجون ، أو غير ذلك فتسقط مترلته بينهم وقد يستخفون به ، فإذا فارقهم إلى بلد آخر صار في عزٍّ وارتفعت مترلته " [3] .

على المسافر أن لا يتبع ملة قوم وكفر وظلم ويبتعد عنهم كل البعد حتى لا تترل وتسقط مكانته.

---

[1] محمد صالح المنجد ،السفر آداب و أحكام ، ص: 08.

[2] المرجع نفسه، ص: 09.

[3] المرجع نفسه ، ص09.

أدبية الرحلة عند أبي راس الناصري (فتح الإله)

المبحث الأول : ترجمة المؤلف

المبحث الثاني : الدافعية العلمية للرحلة عند أبي راس الناصري .

المبحث الثالث :علاقة العنوان بشخصية أبي راس الناصري .

المبحث الرابع : الموضوعات التي تناولها كتاب فتح الإله و منته.

المبحث الخامس : أدبية الرحلة عند أبي راس الناصري.

المبحث الأول :ترجمة المؤلف :

أ- مولده ونشأته :

تمر كل فترة من الفترات التي عرفها التاريخ بمجموعة من المبادئ والخصائص التي تعرفها تلك الحقبة الزمنية ؛ حيث أنّها تختلف من عهد إلى آخر ، ولكل عهد أعلامه وشيوخه الذين برزوا فيه ، وذلك من خلال ما جاءوا به من معارف وعلوم مختلفة ،سواء أكانت ثقافية أو علمية أو دينة أو غيرها (ومن خلال هذا تميز العهد العثماني حين تواجده في الجزائر بمركزان هامان في الساحة العلمية والثقافية في الغرب الجزائري وهما الراشدية وحاضرتها معسكر مازونة ومدرستها الفقهية ، وهذا ما نحن بصدد دراسته وهو نشأة وتعلم وبروز شخصية أبو راس الناصري الذي ترعرع في ظل هذه البيئة الثقافية المحافظة) [1]

أبو راس الناصري :

هو بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصر من أهل قبيلة بني راشد [1]، المولود سنة (1165هـ/1737م) قريبا من جبال كرسوط [2] " ولاية سعيدة " و " هونت "[3] ، وقد ولد في بيئة فقيرة جدا ، ورغم أن الحظ حالفه عدة مرات على يد البايات ، فإنّه قد ظل حليف الفقر ، طول سنواته التسعين ورحل به والده إلى نواحي متيجة قرب مدينة الجزائر ؛ حيث عرف عن كتب الحكم العثماني ، وهناك فقد والدته وهو صغير ،و يقول عنها إنّها كانت كرابعة العدوية علما وورعا ، ثم إنتقل به والده نواحي مجاجة إحدى البلديات الموجودة في ولاية الشلف حيث كان الوالد يعلم القرآن للصبيان ، وتزوج أيضا ، فرأى محمد أبو راس إمرأة أخرى في البيت غير

---

[1] سميت كذلك نسبة إلى مؤسسها راشد من المرشد القرشي مولى إدريس الأول دفن زرهون بالمغرب الأقصى ق 2 هـ ، " ينظر : محمد بن أحمد أبي راس ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ،ص: 10.

[2] يقع جبل كرسوط غربي بلدية وادي التاغية على بعد 8 كلم من قرية " هونت " أنظر / مصدر سابق ، ص: 10.

[3] إحدى قرى دائرة سيدي بوبكر وتقع على بعد 50كلم من مدينة سعيدة ، أنظر / مصدر سابق، ، ص: 10.

والدته ولعله نفر من ذلك وتعلم من والده القسوة ، ولكن هذا الوالد سرعان ما توفي أيضا أصاب أباراس اليتم والفقر " [1].

تربى أبو راس في حضن عائلي يسوده الدين وحسن التربية من والديه ، إلا أنّه بعد وفاة والدته تغيرت حياته ، لأبي راس أخوين وأخت ، فالأخوين هما : السيد عبد القادر السيد بن عمر وهو الأخ الأكبر لأبي راس [2] ، وأخت اسمها حليمة ، أما جده الشيخ عبد القادر كان أعجوبة الزمان في الولاية والصلاح والفضل و الفضيل " [3] .

غير أن أسرته لم تكن ميسورة ، فهي لا تنتمي إلى الخاصة التي جمعت بين المال والجاه وقد طاله الفقر في طفولته وصباه على الأقل ، يقول في هذا الصدد :" لقد استمررت عشر سنين عريانا لا لباسا إلا خرف كالعدم ، وما لبست نعلا إلا أن قرب صومي ، ولما قدرت على السعي صرت أطلب من البيوت ، ثم أبيع وأكسي ..." [4] ، عائلة أبي راس لم تكن ميسورة الحال وعليه عاش أبي راس حياة صعبة في صغره ، التي طغت عليها ظروف الحياة من فقر وتسول .

(بعد وفاة أبيه تكفل به أخوه الأكبر ، ابن عمر وأخذه معه إلى نواحي تلمسان وهناك تعلم القرآن الكريم وحفظه على ظهر قلب ، وعندما حفظ القرآن الكريم وأتقنه ، وتعلم رواياته إنتقل إلى معسكر لمواصلة دراسته وتوسعه في علوم الفقه واللغة والحديث ، وذلك عن طريق علمائها ،و بعدها رحل إلى مازونة وسنة لا يتعدى 15 سنة ، فدرس على فقهائها)[5] ، فيقول :" ولما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها ، وقربة أشياخها سافرت إليها " [6] ، وخلال إقامته

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02، دار الغرب الاسلامي ، 1830 ، ص: 377، 378.

[2] أبي راس الناصري فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، تحقيق محمد عبد الكريم ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990، ص: 73.

[3] المصدر نفسه ، ص: 25.

[4] المصدر نفسه ، ص: 25.

[5] ينظر : محمد بن أحمد أبي راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ص: 10.

[6] أبو راس الناصري ، فتح الإله ، ص: 43.

بها تميز عن باقي الطلبة لما بمتلكه أبي راس من شدّة وقوة الذكاء والعلم ، على الرغم من صغر سنه؛بل حتى أنّه لم يكتفي بالعلم والدراسة فقط وإنّما كان ينشغل على الطلبة ويعمل على مساعداتهم وخدمتهم ، وذلك من خلال أنه كان يسأل لهم الأكل والشرب من بيوت أهل مازونة " [1] .

رغم ما عاشه أبي راس من حياة صعبة إلا أن هذا لم يمنعه من التعلم ، فتعلم وحفظ القرآن الكريم وهو في عمر صغير ، فكان يمتلك قوة خارقة في الحفظ والذكاء ، ولما سمع أبو راس بالشيخ عبد القادر المشرفي الذي أتقن علوما جمّة وبرع فيها " يخضع له القضاة والولاة ويهابونه ويرجعون إليه في مهمات الدين وفي مصالح عباد الله المهتدين " [2] ، قدم إليه وهو بضاحية معسكر ، فتتلمذ عليه وتأثر به ولازمه مدة كان خلالها يغسل ثيابه وثياب أهله.

ترعرع أبو راس في طلب العلم أثناء بدايته على يد الشيخ والعلامة عبد القادر المشرفي (وبعدها عندما أحس أبو راس بنوع من الإستقلال العلمي ذهب إلى الريف ، وهناك تزوج وبدأ بالتدريس وبنشر علمه الذي حصل عليه ، وخلال هذه الفترة تولى القضاء ؛ حيث أنه بقي على هذا الحال لمدة عامين فقط ، وبعدها مباشرة عاد إلى معسكر لأنّه شعر بنوع من أن علمه ومعلوماته بدأت تنقص ، وهذا من أجل أن لا يذهب علمه هباء ، فإستقر في معسكر لمدة طويلة تراوحت إلى ستا وثلاثين سنة ، وعندها حينئذ ذاع صيته وبلغت شهرته ، وفيها انتصب للتدريس و أكثر الفتوى ؛ حيث أنّه بلغ مجلسه العلمي عددا كبيرا من المستمعين تجاوز سبعمائة وثمانين مستمعا ، وفي هذا الحال رشحه الشيخ المشرفي إمام الراشدية ليكون خليفته في التدريس).[3] نتيجة للاستقرار الذي عرفه أبو راس أصبح يملك مهنة التدريس وهذا ما أدى إلى بروز مكانته العالية .

---

[1] أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ص11

[2] المصدر نفسه ، ص: 12.

[3] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص: 378.

ب- شيوخه ومؤلفاته :

كان لأبي راس العديد والكثير من الشيوخ الذين تعلم منهم الكثير من العلم والمعرفة في مختلف العلوم من فقه ودين وقرآن ، وحديث ونحو وغيرها ، كلهم فنون متعددة ومختلفة ساهمت في تعلمه الكثير من التعلم والإكتساب ؛ بل كانوا هؤلاء العلماء والشيوخ مصدر معرفته وإرتقاءه في شتى العلوم ، وأيضا كان لهؤلاء الشيوخ والفقهاء الأثر الأكبر من تكوين شخصية أبي راس الفكرية والثقافي والمعرفية ، نجد من أهم الشيوخ الذين ساهموا وقدموا كل جهودهم من أجل تعليمه وتكوين شخصيته :

" يُكِنُ أبو راس إحتراما فائقا لشيوخه ، فقد رثى كبارهم مثل **المشرفي والمرتضى والزبيري** ونوّه بعلمهم وخصالهم الكريمة ، وقد قال في حقهم :" والدي سبب حياتي الفانية وشيخي سبب حياتي الباقية " فهم قدوته في العلم والحياة ، لا يسعى إلى الخروج عن سيرهم والتميّز عنهم ، أول شيوخه والده الشيخ أحمد بن أحمد الناصر أخذ عليه أبو راس معظم المصحف الشريف من بداية سورة الإنفطار "إذا السماء انفطرت " إلى غاية الآية 253 من سورة البقرة .

درس الفقه المالكي في معسكر ومازونة على يد شيوخ كانوا حجّة في فروعه ، وأبوابه ومن أبرز الفقهاء الذين تتلمذ عليهم بمعسكر الشيخ محمد بن علي بن سحنون قاضي معسكر والشيخ الموفق بن عبد الرحمان الجلالي الذي تخرج عدد من العلماء والشيخ عبد القادر المشرفي عالم الراشدية على الإطلاق "[1] .

أبو راس إستطاع أن يحصي عدد كبير من الشيوخ والعلماء وكلهم ساهموا في قوة تعلمه وكانوا مصدر معرفته في فنون مختلفة ، " وفي مازونة درس على فقهاء كبار منهم الشيخ مصطفى بن هني ، والشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ مصطفى بن يونس ، كل منهم مختص في باب من

[1] أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ص: 13، 14.

أبوابه وقرأ " الفرائض " على يد الشيخ "البدالي " والقضاء والشهادات والأحكام ، على **أجل قضاة مازونة** الشيخ محمد بن عبد القادر وتحقيق **الصرف وبيوع الآجال** على الشيخ أحمد بن نافلة " [1] .

كما درس أبي راس في عدة بلدان من المغرب العربي " في تونس درس فقه النوازل على الشيخ القاضي سيدي محمد بن قاسم المحجوب أحاط بأشتات المحاسن وغرائب النوازل وجمع فرعها وأصلها وكشف نقاب الشكوك وأوضح نتائج الرسوم والصكوك ...المطلع على كل بديعة من على القضاء والفتوى " [2].

ولم يكتفي أبو راس بدراسة فقه المالكية بل تلقى المذاهب الفقهية الأخرى على شيوخ مصر وتونس والحجاز فقرأ المذهب الحنفي على مفتي الحنفية بتونس السيد محمد بيرم " **بمختصر** المكتر وغيره " وهو الإمام في الفقه والآداب والبيان والإعراب والتاريخ واللغة والأنساب والفرائض والحساب " [3] ، ثم على أستاذه في مصر الشيخ محمد المرتضى " الصالح الصوفي ، الحبر الحنفي الفقيه المجتهد الذي طار صيته في الأقطار ، حامل لواء السنة و **مشهرها ، مدحض** البدعة ومخمدها " [4] ، تعددت وتنوعت المذاهب والعلوم التي برع فيها أبو راس .

" ودرس الفقه الشافعي على الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ جامع الأزهر الذي قاد المقاومة منذ الحملة النابليونية في القاهرة وعلى الشيخ عبد الغني مفتي الشافعية بمكة المكرمة وتلقى الفقه الحنبلي في الحجاز على يد الشيخ عصمان الحنبلي " [5] .

---

[1] أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ص: 14- 15

[2] أبو راس الناصري فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص: 51.

[3] المصدر نفسه ، ص: 52

[4] المصدر نفسه، ص: 57.

[5] ابو راس الناصري ،عجائب الاسفار و لطائف الاخبار، ص:15

" وفي الحديث والتفسير والأصول درس على الشيخ مصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر له دراية واسعة بالعقيدة الصغرى ، " أم البراهين " للشيخ محمد السنوسي بن دحو ، فقيه نبيه ، حتى صار نخبة أهل العمر ، راسخ القدم في الأصول [1] والعلل أخذ عنه جماعة من أصحابنا ثم على الشيخ محمد بن الصادق بن أفغول شيخ الإسلام ذو الخبرة التامة بعلم الشريعة ، وكان جامعا للعلوم ـــ جامعا وفي فنونها بارعا مقدما في معرفة الحديث على أقرانه منفردا بهذا الفن النفيس في زمانه ، وعلى الشيخ محمد الأمير المازوني نزيل القاهرة ، برع في الحديث وجميع فنون العلم ، ذاع صيته في المغرب والشام والعراق ، والشيخ عبد الرحمان التاذلي نزيل مكة المكرمة منبع الحديث والقرآن " [2].

كذلك نجد أبي راس درس وتحدث عن الحديث في الشريعة الإسلامية (درس أبو راس كذلك علوم اللغة العربية والمنطق على يد علماء من الراشدية وخارجها أمثال الشيخ سنوسي بن سنوسي شقيق عبد القادر ؛ حيث أصبح علامة محققا وقدوة عظيمة في مختلف العلوم بالمغرب من أصول ونحو وبيان ولغة ، وغيرها بما يحمله من شجاعة وقوة عظمى) [3] .

" ونجد أيضا أن أبي راس درس علم التصوف على يد علماء مازونة ،حيث تتلمذ على كبار المتصوفة أمثال الشيخ موسى بن يحي المازوني صاحب ديباجة الإفتخار في مناقب الأولياء والأخيار، والشيخ الصباغ القلعي صاحب بستان الأزهار، وأبي عبد الله المغوفل صاحب الفلك الكواكبي ،وفي تونس نهل علم الطريقة من الشيخ عبد الله السنوسي المغربي " [4] .

لم يكتفي أبي راس بدراسة علم واحد ، بل تعدد في ذلك ودرس عدّة علوم وبرع أيضا في مجال اللغة والمنطق ، فهذا ما مكنه إلى أن يصبح علامة وقدوة عظيمة .

---

[1] أبو راس الناصري ،عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص: 15.

[2] المصدر نفسه ، ص: 15.

[3] ينظر : المصدر نفسه ، ص: 15.

[4] المصدر نفسه، ص: 16.

ج- مؤلفاته :

أبو راس الناصري عاش حياة مليئة بالتجارب ، وهذا ما أدى وإنعكس عليه من خلال ما خلفه من زاد وثروة علمية ومعرفية كبيرة ، تحصّل من خلالها عل مختلف العلوم التي سادت عصره ؛ حيث تميزت هذه العلوم والكتابات بطابع العصر ألا وهو الطابع العصري العثماني ، فقد حشى الشروح وفسّر وشرح المتون وتميزت كتاباته وشروحه بطابع الصنعة ؛ أي التكرار وقوة الإستطراد ، وهذا يرجع إلى ما كان يمتاز به هذا العصر في هذه الفترة ، تطرق أبو راس إلى معظم المجالات والتخصصات من فقه وتصوف ولغة وتاريخ وأدب وغيرها من العلوم والفنون .

وللكشف والإطلاع على مختلف المؤلفات التي تطرق إلى دراستها أبو راس الناصري والتي تركها نجد أنّها موجودة في مصدران أساسيان وهما ، **أولا** :فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته والتي عقد فيها بابا بعنوان سمّاه العجسد والإبريز في عدة ما ألفت من بسيط ووجيز وقد بلغت عدتها حوالي نحو الثمانين في مختلف فنون المعرفة كتفسير القرآن ، والحديث الشريف والفقه ومذاهبه وكاللغة والنحو والبلاغة " [1] .

ثانيا : شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من تأليف " وهي مخطوطة عرضها د:يحي بوعزيز بالمجلة التاريخية المغربية العدد 53، 54 جويلية 1989 م ، والتي أتمها أبو راس قبل وفاته بثلاثة أسابيع "[2] ، وهذه مجموعة من قائمة بعض مؤلفاته والتي تنوعت وتعددت في عدة مجالات نذكر منها:

---

[1] مختار حبار ، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر ، دراسة ببليوغرافيا ، ص: 57.

[2] أبو راس الناصري ، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية ، ، ص: ...

القرآن الكريم :

1- مجمع البحرين ومطلع البدرين بالفتح الجليل ، للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير ، ويوجد فيه ثلاثة أجزاء .

2- الدرر اللوامع

3- تقييد على الخراز

4- الطراز .

5- فتح المنان في ترتيب نزول القرآن .

6- سرّ الرحمان في جمع القرآن وسبب جمعه على هذا المنوال "[1]

الحديث ومنه :

1- الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات .

2- مفاتيح الجنة وأسناها في الأحاديث التي إختلف العلماء في معناها .

3- السيف المنتضى فيما رويت بأسانيد الشيخ المرتضي"[2]

4-نزهة الفضائل في شرح الشمائل .

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص:179.

[2] المصدر نفسه ، ص: 179

- **الفقه ومنه:**

1- درة عقد الحواشي على جيد شرحى الزرقاني والخراشي ويوجد فيه ستة أسفار "[1]، وقد قال أبو راس حول هذا التأليف أنّه تكلم فيه مع علماء كبار منهم الفقيه الأصفى الشيخ مصطفى ومحشى الزرقاني محمد بن الحسن البناني " [2]

2- الأحكام الجوازل في نبذ من النوازل .

3- نظم عجيب في فروع قليل نصها مع كثرة الوقوع .

4- الكوكب الدري في الرد بالجدري .

5- وما رواه الواعون في أخبار الطاعون .

6- النبذة المنيفة في ترتيب فقه أبي حنيفة .

7- المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك .

النحو :

1- الدّرة اليتيمة .

2- النكت الوفية .

3- عمدة الزهاد في إعراب كل شيء وجئت بلا زاد .

4-نفي الخصاصة في إحصاء تراجم الخلاصة .

5-رحمة الأمة في إختلاف الأئمة .

---

[1] ابو راس الناصري ،فتح الإله ومنته ، ص: 179

[2] المصدر نفسه ، ص: 179

6- تشيف الأسماع ، في مسائل الإجماع .

7- جزيل المواهب في إختلاف الأربعة المذاهب .

8- قاصي الأوهاد في مقدمة الإجتهاد .

- **التوحيد والتصوف** :

1- الزهر الأكم في شرح الحكم .

2- فتح الإله في توصل إلى شرح حكم إبن عطاء الله .

3- الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى .

4-كفاية المعتقد ونكاية المنتقد .

5- شرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أولياء غريس .

6- شرح الجمان للشيخ عبد الرحمن

7- التشوّف إلى مذهب التصوف[1] .

- **اللغة** :

1- ضياء القابوس على كتاب القاموس .

2- ضابط

3-رفيع الأثمان في لغة الولائم الثمان .

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص: 179 ، 180.

- **البيان** :

1- نيل الأماني على مختصر سعد الدين التفتزاني .

- **المنطق** :

1- القول المسلم في شرح السلم .

- **العروض** :

1-شرح مشكاة الأنوار ، التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار .

- **التاريخ** :

1- زهرة الشماريخ في علم التاريخ .

2- المنى والمنى والبتول من أول الخليفة إلى بعثة الرسول .

3- در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة .

4- در الشقاوة في حروب درقاوة .

5- المعالم الدالة على الفرق الضالة .

6- الوسائل إلى معرفة القبائل .

7- الحلل السندسية فيما جرى بالعدوة الأندلسية وشرحها الأول : القصص المعرب عن الخبر المغرب عما وقع بالأندلس .

8-ثغور المغرب .

9- والثاني : غريب الأخبار عما كان بوهران والأندلس مع الكفار .

10- روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان .

11- نباهة الغمر من أبناء العمر ، بأبناء ملوك ورؤساء ومن أحسن منهم أساء ومن .

12- الزهرة الوردية في الملوك السعدية " [1].

درس أبو راس عدة تخصصات ، ولكن ما نلاحظه أنّه تميز ودرس التاريخ بكثرة .

- **الأدب ونجد منه :**

1- النزهة الأميرية في شرح المقامات الحريرية ، فهو أصغر حجما ، وأغزر أدبا و علما.

2- الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية ، وهو الشرح الثاني الأكبر ، و**أفخر** كتب الأدب وأجدر ذو تحف وتحقيق وبيان " [2].

- **القصائد :**

1- شرح أبو راس لقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير ، وهو الشرح المسمى في " فتح الإله "البشائر والإسعاد في شرح بانت سعاد .

2- وأيضا شرح قصيدة " الروضة السلوانية (في الطرد والصيد والتي سمّاها أبو راس في فتح الإله بعنوان " الوصيد في شرح سلوانية الصيد) [3] .

" وأيضا نجد في كتابه فتح الإله أهم المؤلفات التي ألفها أبو راس وهي :

3- نيل الأرب في شرح لامية العرب .

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص: 180.

[2] المصدر نفسه، ص: 180.

[3] ينظر : مختار حبار ، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر ، ص: 24، 25.

4- إزالة الوجم عن قصيدة لامية العجم .

5- الدرة الأنيقة في شرح العقيقة .

6- نظم الأديب الحسيب ، الجامع بين المدح والنسب والتشبيب .

7- الرياض المرضية في شرح الغوتية .

8- شرح " قصيدة الكاتب " المسماة بـــ" الخليلية " [1].

المبحث الثاني : الدافعية العلمية للرحلة عند أبي راس الناصري .

تمثلت حياة أبي راس في مجال طلب العلم من خلال رحلاته المتنوعة التي قام بها وسافر إلى مختلف ربوع العالم ، أو بالأحرى وبالأخص رحلاته حول المشرق العربي ، وهذا ما إنعكس وأثر على شخصيته ، فجعلته هذه الرحلات يتميز بقوة الشخصية والتفتح على الثقافات الأخرى ، وقد خصص أبو راس من كتابه " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " في الباب الثالث بعنوان في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرها ولقاء العلماء والأعلام ، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام ؛ حيث أنّه سافر الشيخ وقام برحلتين داخل الجزائر وخارجها .

" سافر أبو راس إلى المشرق مرتين ، فزار الشام والحجاز ومصر ، والتقى بعلمائها في القاهرة والإسكندرية ، ومكة المكرمة والمدينة ، وإنتقل إلى المغرب الأقصى وتونس ، فإستقبله علماء البلدين في فاس وتونس وغيرهما ، ولم تكن رحلته إلى هذه الديار للتحصيل العلمي كما يعتقد بعض الباحثين بل للمناظرة والتفاوض حول بعض المسائل العلمية ، والقضايا الدينية ، فلم تكن مراكز العلم في المغرب الأوسط أقل شأناً من نظيرتها في المشرق "[2] ، ونجد من أهم الدوافع التي دفعت أبي راس إلى الرحلة " الحج" ؛ حيث حجّ أبي راس مرتين أولهما كانت "1204هـ/1789م "وتعد أكبر رحلة قام بها ، " فالمناظرات العلمية كان الغرض منها في نظر أبي راس التأكد من نباهته والتفوق في علوم عصره ، ففي تونس قال أبو راس :

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص:181 ، 182.

[2] أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ص:17

"اجتمعت بعلمائها وأجلة فقهائها ...فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتشاجرنا وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة " [1] .

أثناء رحلته إلى مصر قال أبو راس " وفي القاهرة لقيت بها العلماء الكبار أهل العلم والأدب الأخيار...فتناظرنا وتذاكرنا في مسائل جمة فإرتفع ذكري وإزداد فخري"(3).

" وفي الحجاز قال : لقيت علماء الوهابية وهم تسعة أكابر ، أفضلهم **الشيخ علي** فوقع لي معهم مناظرة و مباحثة وإعتراضات وسؤالات وأجوبة فائقات ، دلائل قاطعات ، وأحاديث مروية عن أكابر الأئمة ...ثم تناظرنا بعد صلاة العصر قبالة الحجر في صلاة العصر ، وقراءة دليل الخيرات والتسبيح بالسبحة ، ومشاهد السادات ، وهدم مباني الأولياء ذوي الكرامات فرجعوا عن البعض بعد الإستدلال بالنصوص العظيمة العميمة " [2] .

" وفي فاس أحضر العلماء الأعيان وشيخهم حافظ العصر السيد الطيب بن كيران ، ولقيت الفقيه النبيه الشيخ محمد بن بنيس بحثت معه في تفسير بن عطية في كل الحالات كان هؤلاء العلماء يشهدون له بتفوقه وسعة حفظه " [3] .

يمتلك أبو راس مكانة كبيرة نتيجة لتفوقه العلمي الذي شاع به في مختلف ربوع الوطن العربي ، فهو الذي ساهم بالعطاء والإكتشاف ...(حيث تمثلت المناظرات وموضوعاتها التي ساجلها أبو راس مع علماء المغرب والمشرق في الإجابة عن الأسئلة المقدمة إليهم ، وكانت تشير أجوبته إلى مواقفه من القضايا الدينية والاجتماعية التي ميزت عصره) [4] ، لاشيء كان يقف عائقا أمام أبي راس ،فقد كان يملك قوة خارقة ساهمت في قوة مناظراته ومباحثه التي قدمها لنا .

---

(1) أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص:17.

(2) أبو راس ،عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، ص: 17، 18

(3) المصدر نفسه ، ص: 18.

(4) ينظر :المصدر نفسه ، ص: 18.

تمثلت رحلة أبو راس من الجزائر ، والتي انطلق فيها من معسكر التي كانت المهد الذي ترعرع وتتلمذ فيها على يد الشيخ عبد القادر المشرفي ، وبعدها سافر إلى مازونة فقال (ثم سافرت أول صومي إلى " مازونة " مدين مغراوة ... فليقيت على سفري مشقة المشي لكن ذلك شأن أهل السفر للعلم) [1] ، وبعدها رجع إلى معسكر ودَرَسَ بها مدة ست وثلاثين سنة ، ثم تاقت نفسه إلى الرحلة من جديد مرة أخرى .

(وبعدها كانت الوجهة هذه المرة إلى الجزائر العاصمة ، والتي إلتقى فيها بالفقيه المسمى الشيخ القاضي المفتي السيد محمد بن جعدون ، والشيخ محمد بن مالك الذي دار بينهما حوار ونقاش دام مدة كبيرة إلى قرب الفجر ، يقول أبو راس :" فضيّفني وجمع العلماء عليّ ، وتمادوا وسألوني أسئلة صعاب ، عظيمة ، فتفاوضنا فيها مفاوضة كبيرة قرب الفجر) [2] ، (وبعدها دخل قسنطينة هكذا يذكرها أتاه علمائها شأن من العلم والتعلم ، وكانوا منبع الفضائل وبركة سلفاها ، وأنجب خلفها ومن شيوخها عبد الكريم محمد الفكون ، القطب الكبير والغوث الشهير)» [3].

الجزائر كانت حاضرة بقوة في مسار تعلم أبي راس ، لأنّها كانت بداية مشوار دراسته التي إنطلق منها ، و التي تعلم على يد عالمها الكبير عبد القادر المشرفي .

- **وفاته رحمه الله :**

(وفاة أبو راس الناصري رحمة الله عليه كانت يوم 15 شعبان 1238هـ /الموافق لـــ27 أفريل 1823م ،وقد كان قد تجاوز التسعين ربيعا من عمره ، وقد حضر صلاة جنازته حوالي ألف وخمسائة مصليا بإمامة تلميذه **أحمد الدايج** المعروف بلقب **الخرشي الكبير** عند أهل الراشدية

---

[1] ينظر،أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ،ص: 20.

[2] ينظر،المصدر نفسه ، ص91

[3] أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ص98.

ودفن قرب داره ومسجده على ضفة النهر الفاصل داخل معسكر وحي باب علي متّصلا بالسوق الأهلي ؛ حيث أنّه أقيم مشهدا وبناية عل قبره ، لا تزال موجودة وقائمة إلى يومنا هذا وعليه نسب إليها من ذلك الحين) [1].

(وأما عن سبب وفاته فيرجحه الكثير من المؤرخين إل مرض الطاعون الذي إنتشر خلال سنة 1238هـ /1823م ، وذلك بشهادة أنيس الغريب ؛ حيث يقول : ومات به أي يقصد " الطاعون " خلق كثير من العلماء من بينهم أبو راس الناصري) [2].

مات أبو راس وترك خلفه فكر ومخطوطات لا تعد ولا تحصى ،وجد نفسيه فيها ورغم كل هذا إلا أنّها لم تر بعد وجه النور والإكتشاف والدراسة ، فهي تنتظر من إستيقاظ أبناء هذا الوطن من علماء وباحثين ودارسين ليخرجوها إلى ضوء الحياة ، وذلك وفاء لصاحبها الذي كرّس حياته من أجلها ومن أجل مصلحة هذه الأمة .

المبحث الثالث :علاقة العنوان بشخصية أبي راس الناصري

لقد تميّز العهد العثماني بولادة جنس أدبي وُسِمَ بأدبية الرحلات أو الرحلات الأدبية وذلك للسعي وراء إستكمال المعرفة العلمية والأدبية الموسوعية عن طريق التصحيح والتوثيق والإجازة ، خاصة من الناحية الفقهية والدينية وحتى الحديث ، وقد تجلى هذا في البحث عن أمهات الكتب ومصادرها والتقرب من الفقهاء والعلماء والجلوس معهم في المجالس العلمية وإلقاء المناظرات فيما بينهم ، لتتسع بذلك دائرة الحوار ، ومن الكتب التي صنفت ضمن أدبية الرحلة كتاب " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " لمؤلفه العلامة والشيخ محمد أبو راس

---

[1] ينظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج03، دار الثقافة بيروت ، ط 6، 1983م ، ص: 575.

[2] ينظر : مسلم بن عبد القادر ، أنيس الغريب والمسافر ، تحقيق : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط01، 1974م ، ص: 25.

النّاصري المعسكري الجزائري ، وقد" أطلق عليه أحيانا اسم " رحلتي ونحلتي في تعداد رحلتي " مما جعل بعضهم يذكره وكأنّه كتاب خاص برحلات أبي راس " [1] .

وهنا يتبيّن لنا بأنّ كتاب " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " من خلال عنوانه يُصنّف ضمن النصوص الرحلية " وعناوين السرود القديمة ، فكل دراسة للمتن الرحلي أو غيره لابد أن تنطلق من العنوان ، لما له من أولوية على كافة العناصر المكونة الأخرى وبإعتباره العتبة الأولى التي تحاور المتلقي وتشير إلى جنس المؤلف ، خصوصا وأنّ عنونة كل شكل تعبيري تشكل مدونة تضمر بوحا بجنس ذلك الشكل ، كما تؤسس عينا ذات شبكة مرتبطة بكل أسرار النص وعلاماته ، تختزن مقصدية المؤلف ونواياه ، ثم وعيه الأجناسي ، ومدى إدراكه للكتابة التي حررها ،كما تضمر نداء للقارئ ومرشدا له في آن واحد " [2] .

وهذا ما حدث مع " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " وذلك أنّ شخصية الرحالة أبو راس النّاصري ظهر لنا في صورة الرجل العابد ، والحامد لله على نعمه ، وأنّه ذو علم ودين ؛ حيث أنّ الله سبحانه وتعالى أنعم عليه بنعم أراد الكشف عنها والبوح بها .

إضافة إلى ذلك نجد أنّ العنوان لا يختلف عن بقية العناوين المنسوبة إلى للرحالين العرب عامة والجزائريين خاصة ، وذلك من طوله وأسلوب الخط ، واعتماده على السجع ؛ حيث أنّ العنوان فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " يدل على أمر له علاقة بالرحلة ،على عكس العنوان الثاني ألا وهو " حلتي ونحلتي في تعداد رحلتي " وهنا تأكيد ووجوب حضور كلمة " رحلتي " مما يدل على أنّ الرّحالة كان صادقا في قوله وحديثه عن الانتقال والحركة في إطار زماني ومكاني محدد ، ذلك أنّ كلمة " رحلتي " تعلن عن سرد للأسفار ، وتتضمن الذهاب بعيدا عن الموطن الأصل ، كما تفتح أفق إنتظار يرتبط بالنوع نفسه ؛ أي أنّ القارئ ينتظر وصفا للبلدان

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج01، ص: 95.

[2] شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي ،" التجنيس ، آليات الكتابة ،..خطاب المتخيل " ، ص: 171- 172.

التي زارها صاحب الرحلة " [1] ،و العلماء اللذين إلتقى بهم ومجالسته معهم في المجالس العلمية ،مع مراعاة ما شاهدته عينه و ما سمعت به أذنه في نقل الأحداث.

وهنا من خلال عنوان " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " يتبيّن لنا بأن أبو راس النّاصري كان على علم ودراية مسبقا ، أنّه سيتحدث عن رحلته خاصة بعد أن علمنا بأنّه كثير التنقل والترحال سواءا داخل القطر الجزائري بداية من الجزائر العاصمة ثم قسنطينة ، إلى خارج القطر الجزائري من تونس والمغرب وأم القرى ، وغزة ومصر ، ولو تأملنا في الأبواب التي تضمنها العنوان نجد أن الباب الثالث الموسوم بـــ" في رحلة للمشرق والمغرب وغيرها ، ولقاء العلماء والأعلام ، وما جرى لي معهم من مراجعة الكلام " [2]، يمثل شخصية أبي راس الناصري ورحلته الأدبية ، فالمؤلف هنا قد إستخدم ضمير الدال على " الأنا " و" الآخر " الذي تضمن العلماء والمثقفين .

لقد ورد ضمير " الأنا " في الرحلة من البداية وذلك لإثبات الذات ، وهذا نجده في العنوان حيث يمثل أنه ميثاقا يربط بين المؤلف والقارئ ، يتم بموجبه الاتفاق على أن ضمير المتكلم منسوب لساردة ومؤلفه هو نفسه الموجود على واجهة الكتاب ، وهو موجود في المتن أيضا وذلك لإبراز شخصيته ، فالرّحالة حسب علمنا أنّه قد عاش حياة قاسية ؛ حيث :" ذاق مرارة الجوع ، وألم اليتم ، ومارس الشحاذة ، ومشى بين الناس ،أكثر من عشر سنوات حافي القدمين ، عاري البدن ، وغسل ثياب غيره ، وفلا لهما القمل ، وسكن في خيمة شعب " [3] .

ومن خلال هذا يتبيّن لنا أن العنوان في دلالته ومعناه أصبح قريبا من السيرة الذاتية ، ومنه إلى الرحلة لأن المحقق محمد إبن عبد الكريم الجزائري قد استخدم عنوانا ليساعد به القارئ ، ويقوم

---

[1] عبد الفتاح كيليطو ، الحكاية والتأويل ، دراسات في السرد العربي ، دار توبقال للنشر ، عمارة معهد التسيير التطبيقي ، ساحة محطة القطار بلقدير ، الدار البيضاء ، 05، المغرب ، ط01، 1988م ، ص: 72، 73.

[2] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ،ص 91.

[3] المصدر نفسه ،ص 05.

بتوجيهه ، وهذا العنوان وضع أسفل العنوان الأصلي وبخط صغير الحجم ، وهو " حياة أبي راس الذاتية والعلمية".

فالأدبية في " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " إرتبطت بالشخصية ذاتها؛حيث أن العنوان يمثل سيرة ذاتية وعلمية لصاحبها الذي بدوره هو سارد للأحداث التي قام بها أثناء رحلاته وذلك من خلال وجود " نص رحلي يتوفر على مقومات الرحلة بعناصرها الأدبية مع إختلافات يفرضها الموضوع " [1] ، وهنا العنوان بدوره " يشكل شبكة متجذرة في قطبين : الأول لغوي يجسده النص ودلالته ، والثاني نفسي تأويلي للمؤلف ، كما يشكل خطابا مكثفا في جملة سردية مؤطرة للنص السردي ، هي نقطة البدء بالنسبة لمسار السرد " [2] .

فالمتلقي يجد نفسه هنا متفاعلا مع النص ، وذلك من خلال توظيف ضمير المتكلم في النص السردي وإبراز الذات وهي من خصائص السيرة الذاتية لأن الرحالة بدوره يقدم لنا تجربة الترحال من خلال ذاته .

و هنا نجد تداخل و تناسق بين فن الرحلة و فن السيرة الذاتية و العلمية حيث أن الرحلة في فتح الإله و منته تمثل صفحة من صفحات السيرة الذاتية و العلمية للشيخ أبو راس الناصري ذلك أن كتابه هذا تضمن جوانب مختلفة عن حياته ووضعها بطريقة منسقة ومنتظمة من بداية مولده إلى زواجه و إلتقائه بعلماء و فقهاء أثناء رحلاته العلمية .

نلاحظ من خلال تتبع الرحلة في " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " للشخصية أبو راس الناصري الذي قام بدوره بفعل الرحلة ، أنّه قد إستعمل السرد ذلك :" أن النص الرحلي يتضمن تَذويتا لجمل السرد والوصف والتعليق ....؛ حيث تحضر الذات من خلال الجهاز المعرفي للرحالة وطريقة فهمه وصياغته ومُصادراته ، وهي أشياء تُذوت عباراته المتعلقة به

---

[1] شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي ، ص: 154.

[2] المرجع نفسه ، ص: 172.

مباشرة أو بما **هو** غيري خارجي عن الذات ظاهريا فـ"الأنا " سواء كانت ظاهرة بضمير المتكلم "مفردا أم جمعا " [1] .

وهنا يبدو أن الشخصية أبو راس الناصري قد أفرط في إستعمال ضمير " الأنا " الدال على الذات والإعجاب بها ، حتى أنّه لم يستطع أن يفارقها وذلك منذ بداية الرحلة ، وهذا الفعل قد إنعكس على حالة الشخصية وخواطرها وأفكارها وهواجسها النفسية ، وحتى في سلوكاتها وتعاملها مع الفقهاء والعلماء ؛ حيث نراه يمثل المصحح لذلك العالم إلى درجة أنّه يحكم عليه **بطريقة** مباشرة ، وهذا ما حدث معه أثناء مساءلته في مصر عن التكوين :" وسئلت بمصر عن **التكوين** فأجبت بأن المصنف وهو الشيخ **السنوسي** أخل بها في كتبه الخمسة غاية **الإ**خلال ، وها أنا إنشاء الله أبيّن لحنها وفحواها ، وأقدم كلاما بين يدي نجواها ، فأقول قوله في كبراه ! :" الناشئة عن صدور الأفعال " الخ...هذا الذي يعبّر عنه بـــ" التعليق التنجيزي " للقدرة كالإيجاد والإعدام – على قول – والتخليق ، والترزيق والإحياء ، والإماتة ، يعبر عنها " **التكوين** "[2].

إن العنوان " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " **قد** إتخذ صفة أدبية للرّحلة وذلك إنطلاقا من إعتماد الشخصية على " مجموعة من المكونات والعناصر وفق صياغات أدبية وفنية وجمالية " [3] ، وهذه الصياغات برزت في عدّة محطات أثناء الرحلة ؛ حيث أن الشخصية أبي راس قد أعلنت عن نفسها بأنّها صاحبة الفضل والتفوق العلمي والأدبي على الغير ، من خلال تنوع ثقافتها والإعجاب بذاتها ، وهذا الأسلوب تكرر في عدة مواضع مثلا :

"- إلى أن أظهرني الله عليهم .....ص 91

- زاد في إكرامي ، وإعترف لي ص95

---

[1] شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي ، ص58.

[2] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ،ص 136.

[3] المصدر نفسه ، ص: 129.

- لقبوني بـــ" الحافظ".....ص 95

- فإعترفوا بفضلي وبصحة عقلي ونقلي.....ص 104

- وأكرمني بمال جزيل.....ص 107

- فألقوا السلم وإعترفوا لي بالفضل والنبل.....ص117

- فأكرموني غاية الإكرام .....ص 117" [1].

ويواصل المؤلف أبو راس الناصري في نقله ما قيل عنه من مدح وإطراء ، وذلك فضلا لسمو وعلو مكانته ، ودليلا وبرهانا على الإفتخار بنفسه وذاته ، فقد نقل ما قال عنه عبد القادر بن السنوسي ما " نصه :ومما وجد من كلام والدنا العلامة الماهر أخي العلمين في الباطن و الظاهر: محي الدين سيدي عبد القادر بن السنوسي في مدح شرح الفقيه الأديب : الإمام الفقهي ، النجيب النحوي البياني ، الأصولي ، المؤرخ ، أبي المآثر والتآليف العديدة المفيدة مولانا أبي الطاهر سيدي محمد أبي راس الناصري أمده الله بمنه وكرمه ! آمين ! " [2] .

ففي هذه النصوص السابقة نجده أنّه وظف أسلوب النثر ، كما أنّه وظف أسلوب الشعر في عدة مواطن ، وهنا نجد أنّه وظف هذين الأسلوبين كغيره من الرحالين أثناء رحلاتهم ، وذلك من خلال التقاريض التي قيلت عنه من الإشادة بعلمه وأدبه ومدحه وخصاله الحميدة ، مركزا على ضمير المتكلم ومن القصائد التي ثبتت إسمه ورفعت من شأنه وقدره ومفتخرا بذاته : بعض نماذج من قوله : " فمن ذلك تقريض شرحنا المسمى " الآيات البينات ، في شرح دليل الخيرات " ، وهو قوله رحمه الله و رضي عنه ،آمين :

هَنيئا لكمْ بِشَرْحِكم لِلدَلائِلِ فخَرتُم بِهِ عَلى فحُولِ الأوائِلِ .

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ،ص : 91 - 117.

[2] المصدر نفسه، ص: 69.

لقدْ أسْبَكتْ أنْظارَكمْ فِقرا بِهِ فأزْرى بِدُرٍّ في نُحُورِ الحلائِلِ .

ولمّا أفضْتُمْ سَلسَبِيْل عُلومِكمْ أجَدْتُمْ وَجُدْتُمْ دون سُؤْلٍ لِسَائِلِ .

وَجُلتُمْ بِمَيْدَانِ المَباحِثِ فاعْتَلتْ سُيُوفكمُ على طِوالِ الحمائِلِ .

"أبَاراسِ" فأفخَرَ فالفِخَارُ مُتَوَّجٌ عَلى رَأسِكمْ حُزْتُمْ عَمِيمَ الفضَائِلِ [1]

" ومما مدح به أيضا أبو راس كتاب المسمى " الدرة الأنيقة في شرح العقيقة " قوله :

لله دَرُّكَ في نَظمِ العَقِيقِ بما أبرزْتَ مِن دَرَرٍ حَارَتْ لهُ النُظمَا

ومَا أحْسَنَ الدُرَّ والعَقِيقَ إذا نُظِمَا في سِلكٍ حَسَنٍ يُفِيدُ الحسْنَ للعُظمَا

وليْسَ مُستَغْرَبا لطِيفة مِنْكمُ فكمْ لكمْ مِنْ مَزايَا أعْجَزَتْ عُلمَا .

ففِي " أبي راسِ "الهمَامِ قدْ جُمِعَتْ لهُ المكارِمُ في سَمَا المعَالِي سَمَا " [2]

.

وقال أيضا :

أنَا لهُ إياكَ ذو المعَالِي مَنْ لهُ وَعْرُ العِلمِ كالوَطايَا

فإن تَجِيء لهُ بِمُعضَلاتٍ كشَفَ عَنْهَا الرَّان والغَطايَا

ذاك أبو راس نَاصِرَ الدِّيْنِ النَّاصِرِيَ طلّاعَ الثنَايَا " [3] .

" ولوالده المذكور في شرحنا الكبير المسمى " الحلل الحريرية في بيان المقامات الحريرية "لله درّه !

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ص68

[2] المصدر نفسه ، ص: 68، 69.

[3] المصدر نفسه ،ص: 69

من فصيح ، ومت أبلغه في كل علم رجيح ما نصه :

أيَا مَقامَاتَ الفتَى الحريرِيْ بُشْرَى لكمْ بِحُلةِ الحرِيرِ .

نَسْجَ الأدِيبِ اللوْذعِي الفاضِلِ النَّاصِرِيَّ هِبَة النَّصِيْرِي .

ذاكَ أبو راس أخُو المزايا حَق إليهِ الجدُ في المسِيْرِ " [1] .

" ثم قال - أيضا – مُنِحَ المجد والعلى ، والتحفة السنية من الحلى ، في الآخرة والأولى – ما نصه:

ولكتابه عبد ربي الراجي عفوه ورضاه ، السنوسي بن عبد القادر في مدح هذا الكتاب الذي أعجز بيانه وتبيانه ، فحول المنشئين والكتّاب من فحول التصانيف و التآليف والآداب .

مَا كنْتُ أحْسِبُ قبْل هَذا أن أرَى جَنَاتَ عَدْنٍ دَاخِل الأوْراقِ .

حَتَّى تَصَفحْتُ لِلإمَامِ النَّاصِرِيَّ "حُلل الحرِيْرِي " جَلِيَة الأشْرَاقِ .

فعَلِمْتُ أنَّهَا جَنَّة حَصْبَائهَا دُرَرٌ وأرْضُهَا مِنْ تِبْرٍ بَرَّاقِ .

زُفتْ لِقارِعِ بَابِهَا مَشْغُوفة حُورَ " المقامَاتِ " بالجمَالِ الرَاقِيْ " [2] .

" وألف كتاب في فتح " وهران " لم يسبق إليه ، وله كتابات على أسئلة كبار كأنّها من **الدرّر** أو **المعيار** ومناظرات وأجوبة مع العلماء وأسئلة ، وله أيضا في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم قصائد فيها من البلاغة عجائب وغرائب ، وبالجملة أني لم أرى من يخلفه في الغالب (...) ونصه :

ومما مدح به العلامة الأبر ، الجهبذ الأشهر ، حائز رئاسة **وهران** و **أم عسكر** الأستاذ النحرير ذو الإتقان والتحرير (...) الشيخ محمد أبو راس قوله :

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ، ص: 70.

[2] المصدر نفسه ، ص: 71.

لَيْتَ شِعْرِي هَل أَرَى مِنْ نَصِيرٍ ... مُنْصِفٍ لمجْدِ الكِرامِ الأفاضِلِ .

يُطنِبُ القول فِيْ امْتدَاحِ فقِيهٍ ... لاحَ نُورُهُ في سَمَاءِ الفواضِلِ .

أبا راس لِلعُلمَاءِ أنْتَ عِمَادٌ ... أنْتَ نَجْمُ الهدَى شِفاء العَراقِلِ.

لم تَزل عَاضِدَ الفِقهِ مُنذ زمَانٍ ... ككوْكبَ سَعْدٍ مِنْهُ حِينَ تُناضِلِ .

فثنَيْتَ عِنان نُصْحِكَ للنَّحْوِ ... وَفيهِ شَفيْتَ كلَّ غلائِلِ .

وَرقيْتَ مِنَ الحدِيثِ مَنَارا ... قصُرَتْ عَنْهُ هِمَّة المَتطاوِلِ .

فانْتَضَيْتَ ...بمانيًا كوَمِيْضٍ ... فلقَ الصُبْحَ عَنْ شُرُوقِ الدَلائِلِ .

إن هَذا لشَيءٍ مِنْكَ عُجَابٌ ... فكَيْفَ رَكبْتَ دَلِيْل الدَّلائِلِ .

فلا زِلتَ مِنَ الخلِيْقة تُدْعَى ... قوَّال حَقٍّ دَامِغا لِلأبَاطِلِ " [1].

ومن هنا يتبيّن لنا بأن أسلوبي الشعر والنثر في الفترة العثمانية بقيا ملازمين لفن الرحلة عموما ، ولكن تكمن أدبية الرحلة في " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "مرتبطة بالشخصية ذاتها ألا و هو أبو راس الناصري ؛ حيث أنّه بقي محافظا عل مكانته كما كان من قبل إضافة إلى محافظته على قدسية العالم لأن ذكره للفقهاء و العلماء جاء دائما مقرونا بعبارات التبجيل والإحترام ، ومن ذلك قوله في محمد بن الشاهد أحد علماء الجزائر :" العلامة الفهّامة الدرّاكة ، الأديب الذي في كل علم "له " أوفر نصيب ، ورعى فيه مرعى خصيب ، وأخذه بالفرض والتعصيب ، زاد الفوائد ، عذب الموارد ، حجّة الغائب والشاهد ، السيد الحاج محمد بن

[1] أبو راس الناصري ،فتح الإله و منته ،ص 72، 73.

الشاهد ، عالم الجزائر وعاملها ، وقطب رحاها ، وشمس ضحاها ، فقيه ، علامة ، حافظ ، بارع (...) " [1] .

لكننا نجد في بعض النصوص ما يدل على أن أبو راس الناصري متذمر وغير راض ، فيصدر من فمه أقوال لا تليق حتى لو أنّه عبّر عنها سرّا ، وهذا حدث معه أثناء رحلته إلى تونس ونقاشه حول صلاة الجمعة :" فقلت يندب للمسافر الذي لم يجب عليه / حضورها ،إذا لم تشغله عن حوائجه ، فصاحوا ونكصوا ، وردّوا على كلامي ، وأكثروا ملامي ، وقالوا زيادة في تبكيتي وتنكيتي ، من قال هذا ؟ ! فقلت أعندكم شرح الشيخ الخراشي الصغير ؟فقالوا كلنا عنده ، قلت – في نفسي أسرار- هؤلاء كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا " [2] .

وإبراز الذات للشخصية من خلال النماذج الشعرية والنثرية لا يمكن أن تكون قد أتت دون أسباب ،ودليل ذلك أن أبو راس عاش في صغره في حالة نفسية مقهورة وبائسة ، ولكن القدر إنقلب عليه في كبره ، إذ ذاع صيته ، وزادت شهرته من خلال ما إكتسبه من العلم والأدب من الذين لهم الفضل في تعليمه في المشرق والمغرب .

لا تختلف الأدبية عند محمد أبو راس الناصري المعسكري الجزائري (1150هـ/1737م – 1238هـ/1823م) كثيرا عمّا عرّج عليه كتاب " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " الذي يتضمن السيرة الذاتية والعلمية لصاحبها في العصر الحديث من حيث الأسلوب حيث أن أسلوبه لم يكن متمثلا في الإبداع من أساليب الكتّاب العرب في كتاباتهم الأدبية ، ذلك أن أدبية الرحلة في " فتح الإله ومنته " عند أبي راس ظلت محكومة بشخصيته الذاتية وبثقافته الموسوعية الواسعة وغزارة علمه وأدبه المستنير المتطلع على كتب كثيرة ؛ حيث كثرت في كتابه " فتح الإله ومنته" الأعلام والمصطلحات الأدبية من الشعر والنثر ، إضافة إلى الشواهد

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ،ص 95، 96.

[2] المصدر نفسه ، ص: 117.

والاستطرادات ، وهنا نجد أن المؤلف والشيخ العلامة محمد أبو راس الناصري المعسكري جمع بين شيئين ، الشيخ الأديب المنمق ، والعالم المحقق جاعلا سيرته طيعة لأمره وصورة عاكسة لعصره من خلال رحلته الأدبية والعلمية .

المبحث الرابع : الموضوعات التي تناولها كتاب " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "

منذ أن خُلِقَ الإنسان تَوَلَدَ لديه شغف التنقل والتّرحال في ربوع الأرض ،ساعيا نحو تحقيق أهدافه من العلوم والمعرفة في حركة دائبة لا يعرف التوقف ، لكي يفوز بالمقاصد ، ومهما كانت العوائق والصعوبات ذلك عن طريق الكتابة التي تمثلت بدورها ذلك السجّل الحافظ لذخائر الأحداث والقضايا والإنشغالات ، وهذا ما جعل الدراسات الحديثة تنظر إليها بمنظار فني يدعم ما يعرف اليوم عند النقاد والأدباء والكتّاب بأدبية الرحلة والتي هي :" تشكيل لنص ذاتي شخصي بخصوص الأنا والآخر يتبنين متكيفا في شكل معين للتعبير عن رؤية معينة إنطلاقا من خطاب مفصح عنه في البداية ، أو مضمر في تضاعيف السرد والوصف والتعليقات " [1] وفي هذا المجال يفتح لنا ملف الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني الذي سيطر عليه الجمود ، عبر العديد من الرّحالة الجزائريين ، ومن بينهم الشيخ والعلامة محمد أبو راس الناصري المعسكري الجزائري الذي صال وجال وشاهد من خلال رحلاته داخل الوطن الجزائري وخارجه ، وقام بسرد الأحداث عبر ما شاهده في هذه الأماكن ، حتّى تولّد لديه هاجس الرغبة الإنسانية في الإكتشاف والتّأمل والخوض في التجارب .

فتنوعت الرحلات ما بين السفارية والحجازية والإستكشافية والعلمية وغيرها ، ومن بين هذه الرحلات التي هي محل دراستنا الرحلات الأدبية والعلمية عند محمد أبي راس الناصري وذلك من خلال كتاب " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " ، فهذا الكتاب في الواقع

(1) شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي ،" التجنس و آليات الكتابة ،..خطاب المتخيل "، ص45.

عبارة عن سيرة ذاتية للكاتب لكنه تضمن عدّة محطات وموضوعات تُصنف ضمن الأشكال السردية التي تحتفي بغزارة المحكي ، وذلك من خلال الباب الثالث الذي تناول أدبية الرحلة وسمّاه " في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما ، ولقاء العلماء والأعلام ، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام " [1] .

فمن خلال العنوان الذي هو عبارة عن فقرة يلخص لنا مضمون الرّحلة والتي سيقوم بها الكاتب بسرد الأحداث التي شاهدها والأمكنة التي زارها وما لقيه من العلماء والفقهاء ، وذلك إنطلاقا من الصفحة 91 إلى غاية الصفحة 165 ؛ حيث أنّه يستهل في البداية بالحكي ليبّرر لنا سبب تنقلاته من داخل الوطن الجزائري إلى خارج الوطن بفعل الرّحلة :" وأسوتي في ذلك رحلة الجهابذة النحارير ، والأسانيد الجماهير ، كرحلة الإمام **رشيد السبتي** ، والخطيب **إبن مرزوق** ورحلة الشيخ أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي نسبة إلى قبيلة **آيت أعياش** من البربر ، بإزاء **تافلالت** ، وقد سمى **آيت رشيد** رحلته " **ملء العيبة في طول الغيبة إلى مكة وطيبة** " في ستة أسفار ، وكذا رحلة الشيخ **أحمد بن الناصر** وغيرهم " [2] .

أ- الرحلة داخل الوطن الجزائري :

بعد أن ذكر أبو راس مقدمته ، يبدأ بالحديث عن أوّل رحلته داخل الوطن بداية من الجزائر العاصمة :" فأول رحلتي للجزائر العاصمة (...) **فلقيت** : بها الفقيه الفقيه المسمى الشيخ القاضي المفتي السيد **محمد بن جعدون** ، فقال لي : **من هو شيخك ؟ قلت** : المشرفي ، قال : كان في زمن ماض قدم عندنا هو وشيخه ، **محمد المنور ، فقلت له** : كيف وجدت شيخه لما باحثته ؟ قال لي : **لا** نظير له في تحقيق " الكبرى " ، وسكت ولم يزد شيئا ، وضيفني ، ثم قال لي بعد العشاء ما معنى قول " المصنّف " " ومن قوته إلا دون إلا لشّح " فقلت له ما حضرني ، وبقي في

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، في التحدث بفضل ربي ونعمته ،ص: 91

[2] المصدر نفسه ، ص: 91.

قلبه شيء ، ولما طالع الكتب سلم وطاب خاطره ، ولقيت قاضيها – إذ ذاك – الفقيه الدارك الشيخ ، **محمد بن مالك** فضيّفني وجمع العلماء عليّ ، وتمادوا وسألوني أسئلة صعاب وعظيمة فتفاوضنا فيها مفاوضة كبيرة إلى قرب الفجر ، وإن كل ما سددت عليهم بابا فتحوا لي آخر إلى أن أظهرني الله عليهم ، وسألوني بأجمعهم ، ورفعوا قدري ، وبجّلوا أمري (...) إضافة إلى ملاقاته بالعالم السيد **الهادي** والسيد **عبد الرحمن البدوي القرومي** و **أحمد بن عمّار** عالم الجزائر وغيرهم " [1] .

ويزيد في مراسلة وعرض حواراته ومناقشاته العلمية والأدبية ، ومجادلته للعلماء ، ليثري مخزونه الفكري والعلمي والأدبي في منطقة أخرى ، فيعلن :" ولما دخلت قسنطينة نزلت على محط رحال الأفاضل ومنبع الفضائل ، والفواضل ، عالم تلك الدّرة وعاملها وصالحها وناصحها وزاهدها ، ورائدها ، وذروة شرفها ، وبركة سلفها ، وأنجب خلفها ، الأمجد الأنجد السيد عبد الكريم محمد الفكون (...) ولما سمع بي علماء البلد أتوني للسلام – جزاهم الله خيرا !- ومنهم قاضي الجماعة الونيسي الشيخ الحاج الشهير السيد **علي الونيسي** فتذاكرنا في العلوم والفنون ، والحديث شجون ، حتى تذاكرنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بالإسم والوصف الكافي ، وهل تزوّج أحدهم من الحور العين (...) ثم تناظرنا في إستحباب صوم " رجب "، فأخرج تأليفا للسيوطي ، فيه مرجوجية صومه ، فقلت : هو شافعي ، وهذا الشيخ خليل المالكي يقول في ترغيب صوم شهور – منها" رجب " ، ما نصه "ومحرّم ، رجب ، وشعبان ...." ، فسكت فلله درّه ! ما أحسن مناظرته! ، وأثبت مناضلته ! وأحلى مفاكهته " [2] .

ثم يواصل رحلته ليحّط بمدينة **وهران** فيذكر العالم الفقيه في اللغة والنحو السيد محمد بن حسن فيبرهن بقوله :" وكنت مرة قصدت **وهران** وافدا على حضرة من ناب في مدحه لسان

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ،ص: 91، 98.

[2] المصدر نفسه، ص: 98-100.

الحال (...) من بيت علم وصيانة ، ونزاهة ،وأمانة ، وبركة ، وخير ، وقرى ومير ، ومنصب كريم ، وحسب حميم وكان – رحمه الله – ذا يد في النحو واللغة وسائر العلوم ، ولاسيّما الأدب فينسّل إليه من كل حدب حتى أنّه كان من لهجته ، وربيع حواسه ومهجته ، ، فقال لي :قل لي **كلا شيء** بكسر الهمزة ، ألا ترى أنّك تقول : " **جئت بلا زاد** بكسر الدّال!وحرف **لا لا عمله** له ، فقلت له : إن **الكاف لا تعيق لا** عن العمل كهمزة إستفهام ، والباي رحمه الله ! ينظر إلينا ، ثم ذهبت ، وفي قلبي من كلامه شيء ، فعملت على ذلك تأليفا ، فلما قرأه استحسنه(...) وسميت هذا التأليف " بغية المرتاد في كلا شيء وجئت بلا زاد " [1] .

من خلال هاته النصوص يتبيّن لنا بأن رحلات محمد أبو راس الناصري داخل الوطن الجزائري لم تذهب سدى ؛ بل إكتسب ثروة علمية وأدبية من خلال ملاقاته بالعلماء خاصة في العلوم الشرعية والفقه والأدب لينتج بذلك كتابا تحت عنوان " بغية المرتاد في كلا شيء وجئت بلا زاد " .

ب- الرحلة خارج الوطن الجزائري :

رغم أن أبو راس الجزائري بتفتحه العلمي وثقافته الأدبية الواسعة ، إلا أنّه لم يكتفي برحلته داخل الوطن الجزائري ، وهذا ما أسعفه ليوسع من معارفه ، فتاقت نفسه للتّرحال خارج الوطن الجزائري ، بداية من **المغرب** وخاصة مدينة **فاس يقول :**" ورحلت إلى فاس ،محل العلم والإيناس والتقريب والتعبيد لأناس ، وهي قبة الإسلام والسلم والإستسلام ، المقام الأعلى والمثابة الفضلى فهي أم قرى المغرب الوافرة ، وخزائن المزائر والشهرة الساحرة ، والأبناء المسافرة ، ذات الأرجاء الدانية والقاصية ، والأطواد الراسخة الراسية ، والمباني الباهية ، والأزهار الزاهية ، والمحاسن الشاهية ؛ حيث هي آثار السلطان **ادريس** المجاهد تعبق من تلك المعاهد ، شذا معطارا ؛ حيث

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ، ص: 100-101.

كرائم السحائب ، تزور عرائس الرياض الحبائب ، فتحمل لها من الدر نثارا ؛ حيث شمول الشمائل تدار على الأدواح ، بالغدو والرواح (...) " [1].

ثم يذكر لقاءه بعلمائها ؛ حيث يقول :" ولما لقيت علمائها ، وعرفني فقهاؤها ، وقالو : " يا أهلا و أهلا! ومرحبا وسهلا ! طلب مني أحد علمائها الكبار ، الحامين للذمار ، إستعارة " درة الحواشي ، على شرح الشيخ الخراشي " فأبيت ولا أدري بأي شيء إبتليت ، ولما ألح بالمقالة و لم يسعف بالإقالة ، أعرته إياها ، وقلت له : بل هي في حقك قليلة ، وعين الرضى عن كل عيب كليلة ، فأتى إلى نقلي فيها عن كلام الخطاب ، و لم يتأن للحن أو فحو الخطاب ، فنسخ وسلخ ومسخ ، حتى تركه أبيًا ، وهجره مليًا (...) " [2] ، فهذا الفعل يقابله بالإستياء والحزن حيث أن علماء **فاس** يلومون عَالِمَهُم وهذا ما جعله يستعير بالمؤلف ثانية .

وتستمر المجالسة العلمية بكرم الضيافة ، إلا أن يتخللها نوع من المناقشات والجدال بين الحاضرين :"ولما شرب بعض تلامذته ، بتلك الضيافة والدعوة المضافة ، وكان ذلك الشارب حَذوَ من إتصاف إلى الإعتراض فحفظته الإضافة ، بادرت بلفظ **صحّة** لذلك الشارب الحاوي المشارب ، فضحكوا مني قد قرعت من الندم سني ، ثم قلت : ما سندكم في ترك هذا الأدب ، الذي أخذ به كل ما جدّ ودب ؟! ، فقالو : تلك عادتنا ، فقلت : لم يستدلوا بنقل على ذلك ، فقالوا بأجمعهم : وأي نقل في هذا ؟، فقلت : إن شهاب الدين الخفاجي نصّ على السنّة ، وصاحب **المدخل** نصّ على البدعة ، وأنتم لم تحفظوا شيئا من هذين النقلين قط ، وإعتمدتم على الشنيعة فقط (...) " [3] .

---

[1] أبو راس الناصري ،فتح الإله ومنته بفضل ربي ونعمته،ص: 101.

[2] المصدر نفسه، ص: 102.

[3] المصدر نفسه ، ص :103،104

فهنا مناظرته كانت حول قول كلمة **صحّة** للشارب ،وغيرها من التقاليد في كيفية الأكل ، مثل الأكل بالملاعق ، فكان ختام المناظرة لصالحه :" فإعترفوا بفضلي ، وبصحة نقلي وعقلي " [1] .

وممن لقي به من العلماء ورحبّوا به أحسن ترتيب وناظرهم العالم :" الشيخ حمدون : الذي تعلق من العلوم بالعروة الوثقى ، وسما به الأدب إلى المحل الأرقى(...) والعالم النحوي ؛حيث يقول : ولقيت نَحويّ فاس ، بإتفاق الناس ، ذا السر المصون الشيخ **عبد القادر بن شقرون**،والفقيه النابه الأنيس الشيخ **محمد بن بنيس** إضافة إلى ذلك الفقيه **الهواري** المعروف بنظمه ونثره ، ثم لقائه بإبن منصور المعروف بالقواعد " [2] ، إلا أن **أبو راس** إعترف بفضل العالم **عبد القادر بن شقرون** لأنّه توسط له لدى علماء **تازة** حين أهملوا شأنه ، و لم يحفلوا بمكانته ؛ حيث يقول :" وكتب إلى علماء **تازة** لما بلغه أنّهم قصّروا معي : وكيف بكم لم تكرموا هذا الحافظ الذي له الشهرة التامة بالمشرق والمغرب ؟ وقد كتب لي مكتوبا هو عندي إلى الآن – بمدح به شرحي الكبير على المقامات " [3] .

ويواصل أبو راس إسترساله ضمن الأنشطة العلمية والأدبية والمعرفية الموسعة في **فاس** إلى أن يصل إلى مجلس السلطان :" الخليفة ، الجليل ، الأثيل ، الأصيل ، النبيل ، الأعلى ، الأجلى الأظهر (...)أمير المؤمنين مولانا **سليمان** أبقاه الله بركة (...)وكان مجلسه نصره – الله لا يخلو من العلم والعلماء ، تعليما وتعلما " [4] .

وَيَرِدُ إستحسان السلطان **سليمان** لأبي راس حين :" قرأ القارئ – بين يديه في سورة **الأنبياء** : ﴿**وَوَهَبْنَا لهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقوبَ نَافِلة**﴾ [5] ، " **فلت** : يا سيدي الأولى من حقه أن يسكت

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ،ص: 104.

[2] المصدر نفسه، ص: 105، 106.

[3] المصدر نفسه ، ص:105، 106.

[4] المصدر نفسه، ص:106.

[5] سورة الأنبياء ، الآية: 72.

شيئا ما ، عند " **إسحاق** " ، ثم يبتدئ " وَيَعْقُوبَ نَافِلَة" ، فقال لي - أيده الله !- من أين لك ذلك ؟ قلت : قال الشيخ إبراهيم – عند قول الشيخ **خليل** في الحدود :" وجرد الرجل ،والمرأة مما يقي الضرب " ، إن القارئ يقف عند ذكر " الرجل " ثم يبتدئ " والمرأة مما يقي الضرب " **على حد قوله** تعالى في سورة الأنبياء ، الآية نفسها " ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة " ، لأن يعقوب بن اسحاق ، فهو حفيد الخليل – عليهم السلام ! فاستحسن ذلك وأكرمني بمال جزيل – أدام الله نصره ! ولولا مهابتي له لزدت " [1].

وتتواصل الأسئلة بين أبو راس والسلطان في ظل تقديم الأدلة والبراهين والتّأكد من صحّة المعلومات نحو قوله : السلطان :" أين دفن الإمام أبو حنيفة ؟ وما هو حدّ المغرب الأقصى ، هل **هو وجدة** أم **تافنة** ؟ إضافة إلى هذه المساءلات أتم السلطان الحديث عن **بني قحطان** " أهل اليمن وعاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وجرهم ، والسلفات ، وعبد صحم ، وعن ملوك السعدية وبني وطاس وبعض أهل الزوايا ، فيجيبه أبو راس : فأجَبْتُهُ بما عندي ، وعلمت أن له يد في التاريخ والأنساب ، وأيام العرب ، وذلك العلم الذي تعتني به الملوك قديما ، **وقد قلت** : إن الملوك السعدية إنقرض ملكهم سنة تسع وخمسين وألف ، هل بقي أحد منهم ؟ (...) " [2] .

إن هذه الأسئلة لم تجعله يتوقف من ترحاله ؛ بل حفزته وقامت بتشجيعه ليواصل مسيرته في كسب العلوم والآداب ، ليعود إل أرض الوطن ويَحُط الرّحال **بتلمسان** :" ودخلت تلمسان فسئلت عن علمائها وملوكها ، ومن **إختطها** ، **فقلت** : أول من **إختطها بنو يفرن** قبل الإسلام ثم شاركهم إخوتهم :مغراوة فيها ، وكان بينهما منافسة وحروب (...) ثم ملكها **الموحدون** ثم **بنومرين** ثم **بنو عبد الوادي** ، ومنهم أخذها الأتراك سنة ثلاثة وعشرين وتسعمائة ، ثم صارت بين الفريقين فتنة إلى أن صفت للأتراك سنة ستة وخمسين من القرن المذكور ، وأما علماؤها

---

[1] المصدر السابق،أبو راس الناصري ،ص: 106، 107.

[2] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ،ص: 107.

فأولاد إبن زاغوا من مغراوة والعقابنة من قرية بالأندلس والمرازفة من عجيسة : أهل " **جبل وسلات** " **بإفريقية** " [1] ، ويواصل أبو راس الحديث عن سكان مدينة **تلمسان** ، **من سلفها** وخلفها إلى أن يُظهر حزنه وألمه وحسرته على هذه المدينة ، وما آل عليها من حال الدهر :" ....وأما الآن فهي كأمس الدابر ، والميت القابر قد إستولى على أكثرها الخراب ، وناح على خاوي عروشها الغراب ، فأقول : **تلمسان** :

وما أدراك بتلمسان ! فبقعة الظل الأبرد ، ونسيجة المنوال المفرد ، وكِبَاش الغيد الخرد (...) فأصبحت خامدة الحس ، وضيّقة النفس ، " كأنْ لَمْ تَكنْ بالأمْسِ" ، قال **مضاض بن عمر الجرهمي**:

كأن لمْ يَكنْ مِنَ " الجحُونِ" إلى الصَّفا أنيْسٌ ولم يَسْمَرْ بِمكةِ سَامِرِ

سأل بعضهم أدبيا عن الأندلس لما غلبت !قال أبو الطيب المتنبي :

إنّني الزَمَان بَنُوهُ في شَبِيبتِهِ فسَرَهُم ، وأتَيناهُ عَلى الهرَمِ .

إن أتوا الزمان على الهرم ، فأهل الأندلس أتوه في السياق ، وما أحسن ما قيل :

" يا تِلِمْسَان إصْبِري عَلى كمَدِ الزَمَانِ و كدِّهِ (...) فعَسَى الله أن يَأتِيْ بالفتْحِ (...) " [2] .

بعد مكوثه في تلمسان ، وحسرته لها لما آل عليها الحال ، يشدّ الرّحال ثانية خارج الوطن الجزائري وبالتحديد إلى تونس :" ثم ذهبت إلى تونس أم البلاد ، وموثق الطارق والتلاد ، هي التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل ، والكرسي الذي بعصاه ترعى الهمل ، والمصدر الذي له في خطة المعمورة الناقة والجمل(...) ، **وإجتمعت** بعلمائها وأجلة فقائها ، **ونزلت على** شيخها ومفتيها الذي لا شيء عليه من نصوص الفتاوى بمحجوب ، الشيخ السيد محمد بن

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ،ص : 107، 108.

[2] المصدر نفسه ،ص: 108.

المحجوب ذي العلم الغزير ، والرأس الأثير (...) فصار يشاورني في نوازل ترفع إليه ، وبث شكري في تونس يفوق ما أستحقه " [1] .

فمن خلال هذا يتبيّن لنا أن أبو راس الناصري بحّبه وشغفه للمناظرات العلمية في تونس كان يشاطرهم ويخاصمهم :" واجتمعت مع العلماء بجامعها الأعظم فتذاكرنا ، وتناظرنا ، وترافعنا وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة والمسائل المخفية ، وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كله ، ثم سألوني عن أشياء صعاب فقهية فأجبتهم عليها بما عندي من الأنقال الرائعة عليها (...) " [2] ، وكانت أكثر الأسئلة المطروحة في الفقه وتصحيح المعلومات لمناقشيه ، إضافة إلى تحديد التواريخ وأسماء الأماكن ، حيث أنّه ورد تاريخ وفاة ابن رشد " الجد " وتحديده مكانه في مجلس الشيخ محمد بن المحجوب يقول :" وكنت يوما معه ببساتينه في قرية غوث كل لاجئ ، الشيخ أبي سعيد الباجي فأتى بكتاب فيه : أن حافظ المذهب إبن رشد " الجد " أتى من قرطبة – قاعدة الأندلس ، إلى مراكش فلما سمع به القطب الغوث الشيخ أبو العباس السبتي أتاه ، لأنّه أخبر ما أتى إلا ليعترض عليه ، فأعطاه القطب مائة مثقال ، وتكلما فدعا عليه إبن رشد بالحمّى ، فقال القطب لخدميه،ونحن ندعو عليه بالموت ، فمات إبن رشد في تلك الليلة وجهّزه أهل مراكش ، وقاموا به (...) ولما سمع أهل قرطبة أتوه فنقلوه إلى بلادهم ، ولمائة يوم من نقله دفن الشيخ أبو العباس في ذلك القبر ,هذا لفظه " [3] .

وبعد أن سمع أبو راس الناصري بالحكاية يقوم بتصحيح الخطأ فيقول :" قلت له : هذا بعيد جدا ، لأن إبن رشد مات بقرطبة سنة عشرين من القرن السادس ، أيام ملك السلطان علي بن تاشفين ، والشيخ أبو العبّاس مات عام واحد من القرن السابع ، أيام ملك الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ، كذا في كل التواريخ ، وظنّ الصواب معي ، ولعل هذا

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ، ص: 108، 109.

[2] المصدر نفسه،ص:115.

[3] المصدر نفسه ص: 109.

حفيده المسمى بإسمه "[1] ، وقد جمعته هذه الحلقات الفكرية والعلمية وحتى الأدبية بمن قال عنه:" أخونا السيد ابراهيم الرياحي ، معارض الحريري في **المقامات** وله في طريق القوم أمارات وعلامات ، أدرك من المعارف في الصغر، ما لم يدركه غيره في الكبر ، الأبرع ، البليغ ، العارف ، الفاضل المتفنّن حسن العهد ، فاضل الصحبة ، كريم المعاشرة ، منصف في المناظرة ، له سجايا جميلة ومتّصف بكل فضيلة (...) طلبه سلطان تونس أن يكون بها قاضيا ، وبعث له " خلعة القضاء ، فرّدله ذلك ، وأبى وإمتنع ، وهذا غاية الورع ، والتراهة عن الطمع ، وطريق العلماء الأوائل ، أهل الفضل والفضائل ، ولما رأى تآليفي وطالعها وإستحسنها غاية الإستحسان ، وأنشد عليها قصائد حسان ، كأنّها درر أو جواهر أو شقائق نعمان – رحمه الله – وكفاه بالإنعام والإحسان" [2] .

ثم قام يعرض قصيدة تتألف من 58 بيتا يُعَظِمُ من شأن أبي راس ، ومما ذكر فيها :

هَذا الإمَامُ أبو راس محمدٍ مَنْ سَارَتْ بِتبريْزِهِ في الخلقِ ركبان .

هَذا الذِي أقلعَتْ أنباؤه صَمَمَا وأبْصَرَتْ نُوْرَهُ الملتاحُ عُمْيان .

أجلى الجهَالة فإنجابَتْ غياهِبُهَا وإشتّد منه لدين الله بنيان

. فكمْ فادَ بتَحرِيرٍ وقرَّرَ مِنْ قول وحرّرمن بحث له شان[3].

وممن قام بإستفسار أبو راس في جلساته العلمية ، السيد حمودة باشا الذي سأله عن أشياء عديدة عن قصر **الأجم** و **قسنطينة** و **القيروان** و **المقلعة** وغيرها ، فأجابه أبو راس كالتالي :

" قلت عن قصر الأجم هو من بناء هنادسة الفرنج والروم ، حتى إنّه كانت تطلع الشمس كل يوم في كوة من كواه على عدد تنقلها ذهابا وإيابا ، فهو من عجائب الدنيا ، ثم سألني رحمه الله عن

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ، ص: 109.

[2] المصدر نفسه،ص: 110.

[3] المصدر نفسه ، ص: 112.

قسنطينة فأجبت بأن صاحب **القاموس** قال فيها : " هي حصن من حصون إفريقية " ثم سألني عن القيروان ، فقلت : إختطه عقبة بن نافع الفهري وسط القرن الأول ، ثم سألني عن **المعلقة** و **الحنايا** وغيرهما مما بإفريقية ،وبرقة: **كمدينة** " لبدة الخراب " فأجبته بما عندي ، فإستحسن ذلك كله – رحمه الله وقدّس ثراه ، ثم إن بعض العلماء لما سمعوا بإكرامه لي إعتراهم الحسد والكمد والمكر وقد بدت البغضاء من أفواههم (...) " [1] .

بعد مكوثه في تونس وإنبهار علمائها بفكره الأدبي والعلمي ، غادر إلى مصر يقول :" ثم ركبت البحر إلى مصر البلد الذي ليس لعمر ولا لزيد ، والفر الذي في جوفه كل الصيد ، **إستقل** به كرسيّ خلافة الإسلام (...) ، ذا العلوم الزاهرة بالأزهر ، والعساكرالقاهرة بالقلعة والمزهر والفسطاط ، ومشهد الإمام ، وجامع إبن طولون ، والأهرام ،، والحسنين الشرفاء الحنفاء والملوك والخلفاء ، لقيت بها العلماء الكبار ، أهل العلم والأدب والأخبار : الإمام الأرضي الجهبذ الأمضي ،سيف الله المنتضى ، شيخنا السيد مرتضى ، ففاوضته في الفنون ، فوجدته كما لي فيه الظنون ، ورويت عنه أوائل الصحيحين ، ورسالة القشيري ، ومختصر العين ، ومختصر الكتر الراقي ، وأجازني بالباقي ، ثم كتب لي إجازة نص بعضها : إني أجزت الفقيه العالم المتفنّن الحافظ فلان إلى أن قال : ذاكرني في فوائد جمّة ، وذكرني بمطالب مهمّة ، الخ... أنظر إلى هذا الإنصاف وجميل الأوصاف التي أتصف به، رضي الله عنه وأرضاه (...) من أن مثلي يذكره بالمسائل ، وأنا أعي من باقل ، وحّق رب المشرق والمغرب ، أنّي بين يديه كعصفور بين يدي عنقاء مغرب ، ثم إلتقى بعلماء آخرين وبدأوا **بوصفه "كـ**: الشيخ الأمير وصفه بالحافظ ,وأما العلامة الشرقاوي فلقبه بشيخ الاسلام " [2] ،ويواصل أبو راس إجازته العلمية دون أي مضايقة يقول :" ونحن بمدينة العلم الحاوية كل أمر غريب ، فشرعوا في إمتحاني ، وتزييف مكانتي ، ومكاني فأخرج أحدهم كتاب **الألفية** وفتحه من آخره ، فخرج له " باب التصغير " ، فقال لي : **كم فيه من بيت!، فقلت**

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ، ص: 115.

[2] المصدر نفسه ،ص: 115، 116.

: إثنان وعشرون بيتا ، فحسبوه فوجدوه ثلاثة وعشرين ، فصاحوا وضحكوا ، وأرادوا تزييف نقدي وتكذيب ما عندي ، قلت : ناولوني الكتاب ، فأخذته وطالعته ، فإذا فيه بيت من جمع التكسير أدخلت فيه سهوا من الكاتب وتأملتها ، فإذا في أولها **خاء** بالحمرة ، لا يدركها إلا المتأمل ، وفي آخرها **طاء** كذلك إشارة إلى أنّها هنا خطأ ، كما هي عادة الطلبة ، فرأوا ذلك و لم تطب أنفسهم ،حتى رأوا تلك البيت بعينها في **جمع التكسير** ، وزاد عدم إنصافهم حتى طالعوا نسخا عديدة صحاحا من **الألفية** وحسبوا فيها أبيات **باب التصغير** فلم يجدوا فيها إلا **إثنين** وعشرين بيتا كما قلت ، و لم يجدوا تلك البيت فيه ؛ بل وجدوها في الباب فوقه ، وهو باب **جمع التكسير** ، فألقوا السلم ، وإعترفوا لي بالفضل والنبل ، فصرت عندهم لا نجارى ، ولا نبارى ، ولا يقاس لي عندهم عبارة ، ولا يشق لي غبار،وإرتفع ذكري ، وإزداد فخري ، وعلموا أن العلم بين سحري ونحري " [1] .

رغم أن الأسئلة التي طرحت عليه من العلماء كانت صعبة ،إلا أن أبو راس لم يتراجع في ذلك ، وقدّم دليلا قاطعا ليثبت صحة كلامه ، وأنّه منتصر في كل مجلس علمي وأدبّي يُناقشُ فيه .

ثم يشُدَ الرّحال إلى مكة حيث يلتقي بعلمائها وفقهائها الوهابيّين ، ويجتمع معهم ويقوم بمناظرتهم ومباحثتهم في جلسات علمية تبلغ من الغاية أهمية كبيرة .

يقول " أبو راس الناصري " ثم رحلت " لأم القرى " ذات المكارم والعلى والعرى ، التي لا بغيرها تقاس لأنّها " أوّل بيت وضع للنّاس درّة السلك النفيد ، وبيت المعاني إليه القصيد ، ذات النعم المفعمة السجال ، وميدان السعادة الرّحب المجال (...) ، فإجتمعت بعلمائها فقهائها : كالعلامة الدارك السيد عبد المالك الحنفي المفتي الشامي القلعي ، حسبما هو في إجازته لي (...) وأجازني بالباقي وكذا مفتي الشافعية بها شيخنا السيد عبد الغني وطالت مجالستي وبحثي مع مفتي المالكية الفقيه السيد الحسين المغربي ، وغير ذلك مما ضمّه مسجد مكة المشّرفة مأوى الرائح

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ، ص: 117.

والغادي (...) ، وقد إجتمعت – بها – بالشيخ الكبير – الصوفي الشهير ، العلامة ، العامل القدوة الحجّة الفهامة ، الجامع بين العلم والعمل (...) ، شيخنا السيد عبد الرحمان التادلي المغربي له الباع الواسع في طريق القوم ، واللغة ، ذو فضل وتخلق ، وتواضع (...) قرأت عليه شرح العارف بالله إبن عباد على الحكم بمكة المشرّفة سنة خمس ومائتين وألف ،وختمناه في الحجر تحت ميزاب الرحمة قراءة تحقيق وتدقيق رحمه الله – ولما ذهبت للحج سنة ست وعشرين لقيت علماء الوهابيّة " وهم تسعة علماء أكابر جماهير وأفضلهم الشيخ على تاسعهم "فوقع لي معهم مناضرة ومباحثة وإعتراضات ، وسؤالات ، وأجوبة فائقات ، ودلائل قاطعات ، وأحاديث مروية عن أكابر الأمة من الأمهات (...) "[1] .

يواصل أبو راس رحلته إلى طيبة يقول في هذا الصدد :

" ثم رحلت لطيبة بعد هذه الغيبة ، وملء العيبة ، وهي المدينة المشرفة على من تشرفت به أفضل الصلاة والسلام ! فيا حبذا بمهبط الوحي ونزول جبرائيل عليه السلام ، وتشريع الأحكام من حلال و حرام ، ونعم المهاد ، ومبعث الجيوش والسرايا للجهاد ، وضريح سيد المرسلين والكونين والثقلين والفريقين ، من عرب وعجم ، ولقيت بها علماء أجلاء من كل قطر ومصر وكثيرا ما أقبلنا على ضريحه صلى الله وعليه وسلم ، وضريحيّ صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (...) ثم زرنا الصحابة بالبقيع ، وجرى لنا مع العلماء أبحاث ومناظرات غير مرات معظمين ما عظم الله : من دار هجرته ومطلع بدره في ضريحه وقبره ، لا تتعدى عليه صلى الله عليه وسلم ، أرض لاكل ولا بعض ،وكذا كل الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ، وهو أول من تنشق عنه الأرض واللجأ إليه في " المحشر " بعد " النشر " فالحمد لله الذي فضّل بعض البقاع بخصائلها الكريمة

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص 118، 119.

ومزاياها ،وتفضيل الرياض الوسيمة بريّاها ، وجعل منها مثابات رحمته تضرب إليها العباد أباط مطاياها ،(...) " [1].

من خلال هذا يتبيّن لنا بأن رحلة أبو راس الناصري لمكة تمثلت في إلتقاءه بعلمائها وأخذ يناظرهم في جلسات علمية ، وكذلك إلتقاءه بعلماء من الغرب ، أما بطيبة فقد كانت رحلته رحلة روحية ، وذلك بعد زيارة ضريح المصطفى صلى الله عليه وسلم وقبور الصحابة بمدينة البقيع.

بعد رحلته للبقاع المقدسّة يتجه إلى الشام لهدف واحد ، وغرض واحد ألا وهو الحلقات العلمية ، فيقول :" رحلت إلى الشام فتكلمت مع علمائها في مسألة **الحبس** ، نصّ عليها الشيخ أبو زكرياء إبن الحطاب رحمه الله ! فطال بحثنا فيها جدا ، ثم إنّهم رجعوا لقولي ووافقوني وأنصفوني بعد الدلائل القاطعة والأجوبة الرائقة ، والمباحث الفائقة ، وذلك شأن العلماء ، ولما أردت السفر جمعوا لي دراهم كثيرة ، وزادا قدر الكفاية ، فخرجت وشيّعوني " [2] ، ثم يتجه إلى مدينتيّ **الرملة وغزة** بفلسطين ، فيقول :" ثم دخلت الرملة التي هي إحدى مدن فلسطين ، ولقيت مفتيها وعلمائها، فتفاوضنا زمانًا في **الدخان والقهوة** ، فأجبتهم بما قال العلماء في ذلك ، ذكرت لهم نصّ أبي السعود فيهما معا ، فأكرموني ثم رحلت إلى **غزة** ، فزرنا بها قبر سيدنا هاشم ، ثالث آباء النبي صلى الله عليه وسلم ولقيت علمائها وأمرائها ، فضيّفوني وأكرموني وتناظرنا ،في مسائل من العلم مختلفات برهة من الزمان ، فإعترفوا لي بالفضل والعلم والحفظ ، وتلك المدينة كانوا يقولون لها **غزة هاشم** ، كما في شعر أبي نواس حيث قال : " طوالب بالركبان و غزة هاشم"[3].

---

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته، ، ص: 119.

[2] المصدر نفسه ،ص119، 120.

[3] المصدر نفسه، ص: 120.

وحينما رحل إلى **العريش** فلم يجد بها ولا عالم يأنس له يقول :" ثم رحلت إلى **العريش** فلم أجد بها عالما آنس إليه ، ويمكن التعويل عليه "[1] .

إن الرحلة العلمية والأدبية التي تميّز بها محمد أبو راس الناصري المعسكري الجزائري (1150هـ -1737م/ 1238هـ -1823م) تمثلت في شساعة ثقافته الدينية ، ومجادلته للعلماء الذين إختلفت آرائهم ومناظرته لهم في مسائل جمّة في المجالس العلمية ، فكان الإستطراد والإستشهاد من القرآن ، والحديث ، والفقه ، والمذاهب ، والتّصوف ، والأدب ، وغيرها من العلوم ، فهذا الرّحالة الذي جاب في رحلته من المغرب إلى المشرق ، قد عاش مواقف معينة سجّلها في أطر التعامل مع الذات والآخر ، مما شكل لنا أدبية الرحلة التي مثلت بدورها فضاء علميًا وأدبيًا واسعًا يجمع بين مكونات السرد التي تمثلت في الحوار والوصف والفضاء المكاني والزماني للرحلة .

المبحث الخامس : أدبية الرحلة عند أبي راس الناصري

لقد تميزت الجزائر في العهد العثماني بظهور نخبة مثقفة من العلماء ، ومن بينهم الشيخ أبو راس الناصري المعسكري ، والذي كان ميلاده في الوطن الراشدي موطن العلماء والفقهاء والمؤرخين ، فكانت حياته مليئة بالعلم والمعرفة ، رغم مرارة العيش واليتم ، بسبب الظروف الإجتماعية السيئة السائدة آنذاك ، فهاته الظروف جعلته يصبح عالم ذا شهرة واسعة ، وأن يحظى بمنزلة عالية ؛ حيث أنّه : " قد أكثر من التآليف كثرة لا يضاهيه فيها من الجزائريين أحد حسب علمنا بإستثناء أحمد البوني الذي تجاوزت تآليفه المئة ، وغلب على أبي راس في تآليفه جميعا طابع العصر " أواخر العصر العثماني " فشرح المتون ، وحشّي الشروح ؛ بل جعل للمتن الواحد عدّة شروح ، و إعتمد على حفظه ،فأكثر في تآليفه من التكرار و الإستطراد ، وذكر العجائب والغرائب واللطائف تمشيًا مع بضاعة العصر من جهة وترويحًا عن النفس من جهة أخرى ، ولم

[1] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته ، ص: 120.

يركز أبو راس جهده الفكري على تخصص معين ؛ بل تناول كل التخصصات تقريبًا ، فألف في التفسير والحديث ، والفقه والقراءات ،والأدب واللغة والعقائد والتاريخ ونحوها ، فلا غرابة أن يكون أبو راس مؤلفا موسوعيا " [1]، فمن الكتب والمؤلفات التي وقفنا عليها لدراستها والتي تدخل باب التاريخ كتاب" فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " فهذا الأخير يعتبر من أهم المصادر التي حضيت بأهمية بالغة من خلال تسليط الضوء على حياة أبي راس الذاتية والعلمية قام بنشره ابن عبد الكريم الجزائري – رحمه الله – بالجزائر عام 1990 تسعون وتسعمائة وألف والسيرة في حوالي 185 صفحة من الحجم الكبير ، وهذه سيرة تدخل في باب السيرة العلمية كما أنّها تعتبر تجربة غنية صادقة عن حواضر وأعلام الجزائر في عصره .

فالمؤلف محمد أبو راس الناصري قام بتقسيم الكتاب إلى عدة أبواب ، فتضمن **الباب الأول:**

الحديث عن ابتداء أمره من طفولة وتعلم ، وحالة الأسرة وزواجه ، وحجاته ، وهنا يتعلق بحياته ونسبه وقد سمّاه " في ابتداء أمري " [2] ، إذ خصّ في هذا الباب الحديث عن مولده ونسبه فتكلم عن والده وأمه وأخته وأخيه الأكبر ، وجدّه إضافة إلى أسلافه الذين ذكر مكانتهم وعلو همّتهم وتقديرهم وذكر أولى مراحله في التحصيل العلمي ، والتعلم آنذاك .

في هذا الباب تناول حياة أبي راس منذ نشأته وتعلمه وتدريسه وارتحاله لمختلف أرجاء الوطن العربي.

أما الباب الثاني، فتحدث عن شيوخه والعلماء الذين ناظرهم والتقى بهم وأجازوه ابتداء من والده مرورا بعلماء الجزائر والمغرب وتونس ومصر والحجاز والشام وفلسطين، وقد سماه: في ذكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي شريعة، وحقيقة وقرآن وطريقة، ولعل هذا العنوان يحمل

---

[1] أبو راس الجزائري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص: 205.

[2] المصدر نفسه ، ص: من 18 – 30.

معاني دالة على التواضع والاعتراف ببساطته وذلك بقوله: "النافضين عني قشب أوساخي بدءا بوالده الشيخ أحمد منتهيا إلى الشيخ السنوسي بن السنوسي، وقارب عدد الشيوخ الذين جالسهم خمسين شيخا "50 شيخا، وأخذ عنهم مختلف العلوم والمعارف كالفقه واللغة والتصوف وغيرها من العلوم التي اشتهرت في عصره" فهو يقول في بداية نصه: "أعلم أني ببركة الشيوخ، ومحبة أهل الرسوخ، واجهت كلا منهم بآداب وتأملت فيه، وأمعنت النظر فيما زبر في كتابه، وأخرج من فيه بإذعان وقبول، لتحصيل كل ما مول، فحصلت لي عند ذلك مصة من حليب التوفيق وحصة من ماء التحقيق، فنمت في لبن من سمعها ووعاها، وتمرن في قلب من قام بحقها ورعاها، فالشيخ عليه النفع يدور، وتكيل الأرض قدمك إليه وتخور: قال الإمام الشريشي في قصيدته الرائية:

وللـــيخ آيـــات إذا لم تكـــن لـــه فمـــا هـــو إلا في ليـــالي الهـــوى يســـري

إذا لم يكـــن علـــم لديـــه بظـــاهر ولا بـــاطن فاضـــرب بـــه لحـــج البحـــر

وقد قيل للملك الإسكندر اليوناني: أراك تعظ شيخك أرسطو على والدك فقال: والدي سبب الحياة الفانية، وشيخي سبب الحياة الباقية"[1].

وقد خص الباب الثالث برحلته إلى المشرق والمغرب والاجتماع بعلمائها والحديث عما جرى معهم، وهذا الباب قد سماه أبو القاسم سعد الله بعنوان حلتي ونحلتي في تعداد رحلتي، وهنا ندرك ضمنيا بأنه خاص برحلات أبي راس"[2]، أما أبو راس فقد سماه بعنوان: "في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء والأعلام، وماجرى لي معهم من المراجعة والكلام، فسمي ابن رشيد رحلته ملء العيبة في طول الغيبة إلى مكة وطيبة، في ستة أسفار وغيرهم"[3]، فكانت أول رحلة قام بها أبوراس داخل القطر الجزائري بحيث يقول: "فأول رحلتي للجزائر العاصمة وقسمطينة، ثم وهران"[4]، (فالتقى بمشايخها من بينهم الشيخ القاضي المفتي السيد محمد بن جعدون

---

[1]- أبو راس ،فتح الاله ومنته ، ص 41.

[2]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 95.

[3]- أبو راس، فتح الإله ومنته ، ص 91.

[4]- المصدر نفسه، ص من 91 – إلى 100.

فسأله عن من هو شيخك فقال له المشرفي كما تلقى بقاضيها الفقيه الدارك الشيخ محمد بن مالك وجرى بينهم مناقشات باجتماع العديد من العلماء، فتفاوضوا مفاوضة كبيرة إلى غاية الفجر، ولقي بالجزائر أيضا فقيهها وعالمها ومفتيها الشيخ السيد محمد بن حفاف وأيضا جرى بينهم حوار، ولما سمعه زاد في إكرامه واعترف له بأنه من أهل مجلس النبل والفضل ولقبه أيضا بالحافظ)[1]، أما عندما انتقل إلى "قسمطينة نزل على محط رحال الأفاضل ومنبع الفضائل والفواضل، والتقى كذلك بالعلامة الشيخ السيد عبد الكريم محمد الفكون والشيخ أحمد بابا هو تلميذ من أزهدي له الزمان وزان، والشيخ عبد الله الوزان الذي ذكر عالم قسمطينة في نفح الطيب، فذكرها بصالحها وكبيرها ومفتيها وسلالة العلماء الجماهير وأرث المجد كابر عن كابر الشيخ عبد الكريم الفكون"[2].

دار الحديث في الباب الثالث حول رحلة أبوراس إلى المشرق والمغرب وكذا الاجتماع والاستفادة مع الأخذ والعطاء من علمائها وفقهائها.

ولما توجه إلى وهران (وافدا على حفرة من ناب في مدحه لسان الحال عن لسان المقال واقتضى اختياره بركة جوده الملك الرفيع الشأن الذي أخلص لله جهاده وواجهه في قهر أعداء الدين ومرادا بأبسط العدل والأمان، هدم الكنائس، هزم الأحزاب العائدين وجيوشهم السيد محمد الباي ابن عثمان، نفى ثراه، فوقع الكلام إذ قال أبوراس الأمر الفلاني كلا شيء يفتح الهمزة – فقال له لسان الدولة: الذي عظم الله مكانه، وفتح له أبواب السعادة وأعطاه لواء القلم الأعلى العالم الفقيه الأمثل الأفضل الأنبل الأقبل لما يمكنه من بلاغة وجزالة واللسن السيد محمد بن الحسن الذي كان من أهل علم وصيانة وبركة ومنصب كريم، ذا يد في النحو واللغة ومختلف العلوم ولاسيما الأدب فقال لأبي راس قل كلا شيء – بكسر الهمزة – ألا ترى أنك تقول جئت بلا زاد بكسر الدال؟، وحرف لا لا عمل له فقلت له إن الكاف لا تعيق "لا"، عن العمل كهمزة

[1]- ينظر: أبو راس، فتح الإله ومنته، ص 91 – 95.

[2]- المصدر نفسه، ص 98.

الاستفهام، فذهب أبوراس وفي قلبه كلام شيء على ذلك تأليفا فلما قرأه استحسنه وسمي هذا التأليف بغية المرتاد، في كلا شيء وجئت بلا زاد)[1]، فهذه كانت الرحلات التي قام بها أبي راس داخل الجزائر وما جرى بينه وبين العلماء ومشايخ الجزائر من حوار ومناقشات أما الحديث خارج الجزائر فتمثل في مدينة (فاس التي كانت محل العلم والإيناس والتقريب والتبعيد وهي تمثل قبة الإسلام والسلم والاستسلام فالتقى بعلمائها ورحبوا به فقهاؤها فطلب منه أحد علمائها الكبار باستعارة درة الحواثي، على شرح الشيخ الحراشي، فأبيت ولا أدري بأي شيء ابتليت أم بتونس أم البلاد ومثوى الطارق والتلاد، فكذلك اجتمع بعلمائها وجل فقهائها ونزل على شيخها الشيخ محمد بن محجوب ثم ركب البحر إلى مصر البلد الذي ليس لعمر ولا نريد ومن مشايخها الذين التقى بهم شيخنا السيد مرتضي فتفاوض مع أبوراس في الأمور)[2].

الفنون، فوجد عنده كل الظنون، وكتب له إجازة نص بعضها "أني أجزت الفقيه العالم المتفنن الحافظ فلان، إلى أن قال:(ذاكرني في فوائد جمة وذكرني بمطالب مهمة، ثم رحل إلى ينبوع البحر مأوى الغريب والإيناس من أعظم ما تلقى بهم قدرا الشيخ عمارة العلاف أحد الأئمة الأكابر وإمام الأئمة وقدوة الأمة ثم رحل إلى القرى ذات المكارم والعلا التي لا تقاس بغيرها لأنها أول بيت وضع للناس، بلد السعادة والمحبة، فاجتمع بعلمائها وفقهائها السيد عبد المالك الحنفي المفتي الشامي القلعي قرأ أبو راس عليه نبذة من الحديث وشيئا من التفسير من سورة النور، ولما ذهب للحج في ستة وعشرين تلقى بعلماء الوهابية وهم تسعة علماء أكابر فوقع له معهم مناظرات ومباحث وسؤالات وأجوبة فائقة وأحاديث مروية وقراءة دليل والتسبيح بالسبحة)[3].

تعددت وتنوعت رحلات أبوراس فانتقل تقريبا إلى معظم أنحاء الوطن العربي.

---

[1]- ينظر: أبو راس، فتح الإله ومنته، ص 100- 101.

[2]- ينظر، المصدر نفسه ، ص 101- 109.

[3]- ينظر: المصدر نفسه ، ص 115- 119.

(ثم رحل إلى طيبة بعد هذه الغيبة لهذه المدينة المشرفة على من تشرفت به أفضل الصلاة والسلام، فكانت مهبط الوحي ونزول جبرائيل عليه السلام وشرعت الأحكام من حلال وحرام كثيرا ما أقبل على ضريحه صلى الله عليه وسلم وضريحي صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فجرى له مع العلماء أبحاث ومناظرات كالمعتاد)[1].

"وبعدها رحل إلى الشام فتكلم مع علمائها حول مسألة الحبس الذي نص عليه الشيخ زكريا ابن حطاب فطال البحث فيها جدا ثم رجعوا إليه ووافقوه وأنصفوه بعد الدلائل التي قدمها لهم والأجوبة اللائقة التي أعطاها لهم، ثم دخل الرملة أحد مدن فلسطين وتلقى بعلمائها وتفاوضوا حول مسائل الدخان والقهوة فأجابهم فيما قال العلماء بذلك وذكرهم لهم نص أبي السعود"[2]

أما الباب الرابع : فيركز على الأسئلة التي ألقيت عليها أثناء رحلاته وتنقلاته بالإضافة إلى ذكر الأجوبة عليها وسمّاه " في الأسئلة وما تعلق بها " [(3)] ، فهذا الباب خصص للمحتويات المعرفية والمواضيع التي حَضَرَها في مجالس العلم وقام بمناقشتها والإجابة عليها في مختلف الأماكن أثناء رحلاته وفرض آراءه في مشاوراته مع علمائه ومشايخه ، يقول :" واعلم أن العلماء الذين تنقلوا عنهم هذه الأجوبة ما لهم إلا عالم واحد ، لا ينعت ولا يحدّ ، مبنيا على قواعد التحقيق والإيقان ، مؤديا صحيح المعنى بأبدع الإتقان ، مجالسهم أهى من الروض الآنق ، وزهدهم سارت به الركبان ، ومحاسنهم يقصر عنها اللسان ، أعلام أجلة ، وعلماء ملة ، سئلت عن قول شيخ المالكية : الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد ، عن قوله في أول **الرسالة** وأنّه فوق عرشه المجيد بذاته ، فأجبت بأن شارحها الشيخ أبا الحسن " [(4)] .

---

[1]- ينظر: أبو راس، فتح الإله ومنته ، ص 119.

[2]- المصدر نفسه، ص 119- 120.

[(3)] ينظر: المصدر نفسه ، ص: 131 إلى 165.

[(4)] المصدر نفسه ، ص: 131

والباب الخامس : فقد ورد فيه : " تآليفه مرتبة حسب موضوعاتها ومداداتها " [1] ، إذ قام بتصنيف العناوين والتعليق هلى بعضها وشرحها شرحا مضمونا ، وقد سمّاه :" العجسد والإبريز في عدّة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز " [2] .

فكانت البداية بالقرآن الكريم ، إذ يقول : " أولهما : مجمع البحرين ، ومطلع البدرين بفتح الجليل للهبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير في ثلاثة أسفار ، ثم يليه الحديث ، والفقه والنحو ، والتوحيد ، والتصوف ، ثم الأصول والتاريخ والأدب ، القصائد ...." [3]، كما أنّه ورد في :" آخر الكتاب ما يدل على كبر سنه ؛ حيث قال أن الساعة أزّفت ، وأن أطيب العمر قد ولى ، ولكن ليس هناك ما يدل على تاريخ تأليفه " [4] .

غير أننا نجد أن بعض الدراسات قد ذكرت تاريخ تأليف كتاب " فتح الإله " لأبي راس الناصري وهذا ما ورد في المصدر :" فقد قام أبو راس بتأليفه عام 1233هـ ؛ أي قبل وفاته بخمس سنوات ، ذللك أنّه توفي عام 1238هـ ، وهنا نحكم أنّه كتبه في أخريات أيامه ؛ أي عاش حوالي ثمانين سنة "[5] ، لكن نجد أن آخر تاريخ أشار إليه أبو راس الناصري في فتح الإله ومنته هو سنة 1227هـ ، وهي السنة التي عاد فيها من الحج للمرة الثانية " [6] .

إن كتاب فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته لمحمد أبو راس المعسكري الجزائري يعدّ :" ترجمة شخصية وافية لأبي راس فمنه نعرف أشياء كثيرة عن نفسه ، وأحوال عصره وتراجم عدد من العلماء المعاصرين له سواء ا كانوا أستاذة له أو زملاء له ، وهو كتاب غني

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج01، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007، ص95.

(2) أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص: 179 إلى 182.

(3) المصدر نفسه ، 179.

(4) المرجع السابق ، أبو القاسم سعد الله ، ص: 94.

(5) أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص: 07.

(6) المرجع السابق، ابو قاسم سعد الله ، ص: 95.

بالأخبار لا عن الجزائر وحسب ، ولمن عن المغرب العربي والمشرق أيضا " [1]، إضافة إلى ذلك " العلاقات السياسية بين الدول العربية ، والمستوى العلمي السائد آنذاك ، وبعض أخبار المذاهب الدينية " [2] .

وقد سار أبي راس في مشواره العلمي والأدبي في كتابه " فتح الإله " على نهج " عبد الرحمان السيوطي* " :" فقد قلد أبو راس في كتابه فتح الإله قدوته عبد الرحمان السيوطي ، الذي كتب هو أيضًا تأليف يحمل عنوان شبيهًا بالعنوان السابق وهو " نزول الرحمة في التحدث بالنعمة " ولكن أبا راس لم يقتدي بالسيوطي في كثرة التأليف والحديث عنها فقط ؛ بل اقتدى به في كونه عاش فقيرا مثله ، وبعيدا عن مجالس الأمراء وأصحاب السلطة " [3] .

ومهما يكن من أمر فإن " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " للمؤلف محمد أبو راس الناصري المعسكري الجزائري يعد :" في مقدمة السير المرضية والتراجم الشخصية التي تمتاز بالصراحة والتدقيق ، ذلك لما يحتويه هذا الكتاب من العلوم المفيدة والشجاعة الأدبية الفريدة وهذا ما دفع إلى " ابن عبد الكريم " إلى القيام بتحقيق نصوصه ، وضبط العويص والمبهم من ألفاظه ، والتعليق على ما يستوجب الشرح والتنبيه ، فلولا هذا الكتاب " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "لمحمد أبو راس الجزائري لما عرفنا من حياة صاحبه العلمية والأدبية إلا الترر القليل ، وكذلك اطلاعه على المناظرات العلمية وبالأخص الفقهية التي كانت تدور بينه وبين علماء المشرق والمغرب " [4] .

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ص: 95.

[2] أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، ص: 07.

*عبد الرحمان السيوطي : هو تاج الدين عبد الملك بن عبد المنعم بن القاضي تاج الدين القلعي ، الحنفي ، نزيل مكة المكرمة ، كان أحد أعلام عصره في شتى الفنون ، من مؤلفاته " الكواكب الدرية ، في الفتاوى القلعية ، وبلوغ القصد في تحقيق مباحث الحمد " توفي بمكة سنة 1229هـ ، 1814م ، ينظر : فتح الإله ، لأبي راس ، ص: 130.

[3] المصدر السابق، أبو راس، فتح الإله ومنته ، ص: 06.

[4] المصدر السابق ، ص: 11.

من خلال هذا القول يتبيّن لنا بأن كتاب " فتح الإله " من المصادر التي تصنف ضمن المخطوطات والوثائق التراثية التي يندرج ضمنها فن السيرة الذاتية ، والتي تتوافر على ملامح الأدبية باعتبارها مرجعا ثقافيًا نفيسًا ، فقد عرّف لنا أبو راس الناصري بأشياء كثيرة عن حياته وعن العلم والعلماء والفقهاء والمشايخ ، أثناء رحلاته ، بالإضافة إلى تصوير حياة المجتمع العربي الاسلامي من خلال الفترة العثمانية ، وذكر مؤلفاته والمسائل الشرعية واللغوية وآراء العلماء ومعارفهم .

خاتمة

من بين الفنون الفكرية التي عرفها التراث العربي ، نجد أدب السيّر والرحلات ، ويعتبر هذا الأدب من أصدق الفنون وأقدرها ، لأنّه يستسقي المعلومات والحقائق من المشاهد الحيّة والتصوير المباشر ، مما يجعل قراءته مفيدة وممتعة .

فمن خلال دراستنا لهذا الفن الأدبي وبالتحديد عند أبي راس الناصري من خلال كتابه فتح الإله و منته توصلنا إلى النتائج التالية :

- عرف الإنسان الرحلة منذ عصور قديمة ومارسها العرب كفعل طبيعي في سائر العصور أنجزت لظروف وأسباب معيشية مختلفة ، وكانت العناية به متواصلة وعظيمة على مر العصور.

- إنّ الرّحلة سفينة تقطع البحار وتسلك الفيافي وتتجاوز قمم الجبال ،فالرحلة أسهمت في الاطلاع على حضارة الأخر و منه كان التدوين و الانتفاع.

- من أهم الرحلات التي عرفها الأدب العربي هي رحلات الحج والزيارة وطلب العلم ،و بسبب تلك الرحلات لمعت أسماء وذاع صيتها و نالت الشهرة العلمية.

- الدوافع التي حوتها الرحلة تختلف وتتفاوت من رحلة إلى أخرى، تنوعت اتجاهاتها من دينية علمية ، تجارية ، إدارية ، فكان لكل شخص دافعه وراء هذه الرحلة .

- أدب الرحلة له أهمية كبيرة يستفيد منها كل من الجغرافي والباحث والأديب.

- ما نلمسه في كتب الرحلات هو أن أدب الرحلات يحتوي على قيمتين بارزتين هما القيمة العلمية والتي تكمن في تلك المعارف الاجتماعية، والتاريخية ، والاقتصادية ، و القيمة الأدبية فتتجلى فيما يحمله الكاتب من سرد ووصف مشوّق .

- ذكر العلماء والباحثين عادات وتقاليد السفر، التي يجب على المسافر التحلي بها .

- استطاع أدب الرحلة الجزائري من خلال رحلات أعلامه أن يعطي صورا واقعية لبعض مظاهر الحياة في مختلف البلدان الجزائرية، ومختلف البلدان الأخرى، من عادات وتقاليد وعلم ، ومعرفة .

- أعطى فقهاء وعلماء مدينة معسكر بالجزائر ، مجهودات فكرية وعلمية معتبرة كانت ذو مستوى رفيع ، وأصبحوا عراقة تاريخ الجزائر .

- بفضل شيوخ وإجازات أبي راس الناصري أصبح نبع في العلم والمعرفة .

- الرحلات العلمية التي قام بها أبي راس أثرّت على شخصيته بالعلم والاستفادة، **فقد تنوعت** رحلاته داخل وخارج الجزائر .

- كانت الرحلة عند أبي راس إلى الحرمين الشريفين من أهم وجهات الرحلة ، وهذا بهدف أخذ العلم وللاستزادة ولقاء المشايخ والفقهاء .

- من خلال مسيرة أبي راس العلمية التي ناظر بها علماء المشرق أصبح شخصية علمية محترمة، ذاع صيته وجال مشرقا ومغربًا.

- من أبرز علماء الجزائر أبو راس الناصري وذلك من خلال ما تركه من تراث وإنتاج **غزير، فلم** يقتصر على التأليف في مجال معين ، وإنّما تعدى ذلك إلى مختلف المجالات ، فألف في التفسير والقرآن ، والتاريخ ، والحديث ، وغيرها .

- **تنوعت مؤلفات** أبي راس في مختلف العلوم والفنون، وهذا يعتبر دليل قاطع على عبقريته الكبيرة فهو الذي أفنى كل حياته من أجل خدمة العلم والأمة الإسلامية معا .

- من أهم الكتب والمؤلفات التي عرفها التاريخ كتاب أبي راس الناصري المسمى " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " فيعتبر من أهم المصادر التي بلغت أهمية كبيرة من خلال تسليط الضوء على حياة أبي راس الذاتية والعلمية.

- كتاب أبي راس الناصري " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " ينقسم إلى خمسة أبواب ، وكل باب بعنوان ، من خلال هذا الكتاب الذي يصنّف إلى مخطوط ووثيقة تراثية كشف لنا وعرّفنا أبي راس على أشياء كثيرة من حياته ، من علم وعلماء ومشايخ من جهة ، ومن جهة أخرى كشف لنا خلال رحلاته تصوير حياة المجتمع العربي الإسلامي خلال الفترة العثمانية وذكر لنا أهم المؤلفات التي تطرق إليها و مختلف المسائل الشرعية واللغوية ومختلف آراء العلماء ومعارفهم .

فهرس الآيات

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقم	الصفحة
التوبة	﴿وَمَا كان المُؤْمِنُون لِيَنْفِرُوا كافة فلوْلا نَفرَ مِنْ كل فِرْقةٍ مِنْهُمْ طائفة لِيَتفَقَّهُوا فِي الدّين وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾	122	25
يوسف	﴿فلمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَل السِّقَايَة فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثمَّ أذن مُؤَذن أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾	70	10
النحل	﴿وَاللهُ جَعَل لكمْ مِنْ بُيُوتِكمْ سَكنًا وَجَعَل لكمْ مِنْ جُلودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلى حِينٍ﴾	80	10
الأنبياء	وَوَهَبْنَا لهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقوبَ نَافِلة وَكلا جَعَلْنَا صَالِحِينَ	72	94
الرحمان	وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾	10	28
الملك	﴿هُوَ الذِي جَعَل لكمُ الأَرْضَ ذلولا فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكلوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النّشُورُ﴾	15	28
قريش	﴿لإِيلافِ قرَيْشٍ (1) إِيلافِهِمْ رِحْلة الشّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذا البَيْتِ (3) الذِي أَطعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾	04	09

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

المصادر

1. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ج01،
2. أبو الحسن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، ج01، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000،
3. أبو العباس أحمد المقري ، رحلة المقري للمغرب والمشرق ، تحقيق محمد بن معمر ، مكتبة الرشاد ، الجزائر ، 2004م
4. ابوراس الناصري، الحلل السندسية في شأن وهران و الجزيرة الأندلسية،تحقيق سليمة بن عمر ط1،دار صنين للطباعة والنشر،2002.
5. سنن ابن ماجة ، الإمام علي حافظ الدين ، مغلطاي ابن فليج بن عبد الله الحنفي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ج223/72، مكة المكرمة ، 1999.
6. سنن الترميذي ، الإمام حافظ محمد بن عيسى بن سورة الترميذي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ،
7. محمد ابن إدريس الشافعي ، ديوان الإمام الشافعي ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2001م
8. محمد أبو راس الجزائري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، حياة أبي راس الذاتية والعلمية ، تحقيق وضبط وتعليق ، محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990
9. محمد الخضر حسين ، الرحلات ، تح: علي رضا التونسي ، المطبعة التعاونية ، دمشق ، 1976م

10. محمد بن أحمد أبي راس الناصر ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، تقديم وتحقيق المخطوط من طرف محمد غالم،ج1،منشورات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية و الثقافية ،وهران ،2005 .

11. مسلم بن عبد القادر ، أنيس الغريب والمسافر ، تحقيق : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط01، 1974م

المراجع

1.أبي حامد أحمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج02، دار الكتب العلمية ، ط01، بيروت ، 1986م

2.أغناطيوس كراتشوفسكي ، تر : صلاح الدين هاشم ، تاريخ الأدب الجغرافي ،ج 1 القاهرة ، 1963م ،

3.أوليا جلبي، الرحلة الحجازية ،ترجمة عن التركية وقدم لها الصفصافي احمد المرسي ، دار الافاق العربية ،القاهرة د.ط،1999م.

4.بشرى محمد صالح ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي ، ط01، دار البيضاء ، بيروت ، المغرب ،1994

5.بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، مج08، مطبعة المعارف ، دط ، بيروت ، 1884م

6.حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ج1، دار الجيل ، بيروت ، ط4، 1996م.

7.حسني محمود حسين ، أدب الرحلة عند العرب ، المكتبة الثقافية الشعبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1976م

8.حسني محمود حسين ، أدب الرحلة عند العرب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط02، 1983

9. حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، سلسلة " عالم المعرفة " 138المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1989م

10. حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1990م ،

11. حسين نصار ، أدب الرحلة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر ، ط01، 1991م

12. سميرة أنساعد ، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الهجريين ، ق 17، 19،الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي ، الجزائر ، ط01، 2011،

13. سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،" دراسة في النشأة والتطور والبيئة " ، دار الهدى للطباعة والنشرو التوزيع عين مليلة ،الجزائر، 2009

14. سيد حامد النساج ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ، مكتبة غريب ، دط ، القاهرة ، دت

15. شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي " التجنس ...آليات الكتابة ، خطاب المتخيل "، رؤية للنشر و التوزيع ،القاهرة،ط1، 2006.

16. شوقي ضيف ، الرحلات ، دار المعارف ، القاهرة ، ط04، 1987م

17. شوقي ضيف ، الرحلات ، دار المعارف ، ط04، 1996م

18. صبحي صالح ، علوم الحديث ومصطلحاته ، دار العلم للملايين ، لبنان ، د ت

19. صلاح الدين الشامي ، الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسات الميدانية ، منشأة المعارف ،الإسكندرية، 1999م

20. عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج03، دار الثقافة بيروت ، ط 6، 1983م

21. عبد العزيز بن صالح الهلابي ، الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني ، دراسة مقارنة " مقال " ندوة الرحلات ، دار الملك عبد العزيز

22. عبد الفتاح كيليطو ، الحكاية والتأويل ، دراسات في السرد العربي ، دار توبقال للنشر ، عمارة معهد التسيير التطبيقي ، ساحة محطة القطار بلقدير ، الدار البيضاء ، 05، المغرب ، ط01، 1988م

23. عبد الهادي التازي ، أدب الرحلات ، هل سيختفي من الساحة ؟ مقال " الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية " ندوة الرحلات ، ج 1 ،دارة الملك عبد العزيز، الرياض ، 24، 25 رجب 1421هـ ،

24. علي ابراهيم كردي ، أدب الرّحل في المغرب والأندلس ، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2013

25. عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، " تاريخا ، وأنواعا ، وقضايا ، وأعلاما " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995م

26. عواطف محمد يوسف تواب ، الرحلات المغربية والأندلسية ، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرن السابع والثامن هجري ، دراسة تحليلية مقارنة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، د ط ، الرياض ، 1996

27. عيسى بخيتي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث " مكونات السرد " دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014م

28. فاطمة حمود ، الرحلات ...والرحالة قديما وحديثا ، المطبعة التعاونية ، دمشق ، 2004م

29. فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية ، القاهرة ، ط02 ، 2002،

30. القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج01، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007.

31. القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02، " 1500 ، 1830 " ، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1998م

32. محمد السيد علي الوزير ، الأمير عبد القادر " ثقافته وآثارها في أدبه " وزارة الثقافة للنشر والطباعة ، الجزائر ، دط ، 2007م

33. محمد صالح المنجد ، السفر آداب وأحكام ، مجموعة زاد للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط01، 2010م

34. محمد محمود محمدين ، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ، مكتبة الإسكندرية ، ط2،1996.

35. مختار حبار ، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر " دراسة ببليوغرافيا " منشورات دار الأديب ، وهران ، الجزائر ، 2007م

36. مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، دار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ط2،1981.

37. نازك سابايارد ، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط01، 1979م

38. ناصر عبد الرزاق الموافي ،الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع ،مكتبة وفاء للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة ط1،1995.

قواميس:

1. الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء ، معجم مقاييس اللغة ، تح: شهاب الدين بو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، 2005م

2. منظور الأنصاري الإفريقي المصري ، لسان العرب ، عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط04، 2005

3. الفيروز أبادي ، قاموس المحيط ، توثيق ، يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت، 2008

الشمس

بسملة.

شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

المدخل: المسار التاريخي للرحلة 02

أولا : الرحلات العربية 08

ثانيا : رحلة الشتاء والصيف 09

ثالثا : أهم الرحلات في الأدب العربي 11

الفصل الأول: مفاهيم ودلالات حول الرحلة

المبحث الأول : المفهوم اللغوي والاصطلاحي للرحلة 17

المبحث الثاني : دوافع الرحلة وضروراتها وأنواعها 22

المبحث الثالث : أدبية الرحلة وعلمية الرحلة 40

المبحث الرابع: أهمية الرحلة واهم الرحالة المغاربة 46

المبحث الخامس: تقاليد السفر وآداب الرحلة 54

الفصل الثاني: أدبية الرحلة عند أبي راس الناصري (فتح الإله)

المبحث الأول : ترجمة المؤلف 64

المبحث الثاني : الدافعية العلمية للرحلة عند أبي راس الناصري 76

المبحث الثالث :علاقة العنوان بشخصية أبي راس الناصري 79

المبحث الرابع : الموضوعات التي تناولها كتاب فتح الإله 89

المبحث الخامس : أدبية الرحلة عند أبي راس الناصري. 103

خاتمة 113

فهرس الآيات 117

قائمة المصادر والمراجع 119

فهرس الموضوعات. 125